الطبعة ٥

لأنها استثناء - 2



داليا سيد

تشكيل للنشر والتوزيع



لأنها استثناء 2

لن ينساها

رواية

داليا السيد





Email publish@tashkeel- publishing.com
Website www.tashkeel-publishing.com
Mobile 201006250473 FB/Tashkeeel

I.S.B.N : 978-977-6555-46-4

رقــم الإيـــــداع: 2017/13458

تصميم الغـلاف : أحمد فرج

التدقيق اللغوي : سارة سرحان

الإخراج الداخلي : ضياء فريد

المديـــر العــام : سيد شعبان





لن ينساها



إلى كل هؤلاء المميزين – المختلفين – الاستثنائيين.. في مشاعرهم، وفائهم، تفانيهم في إسعاد من حولهم.. أولئك الذين يستقون سعادتهم من إسعاد الغير وسعادتهم.. دون الاكتراث لجرحٍ عميق ينزف بداخلهم ..

أولئك اللذين تبدأ بهم الحياة والمتعة حيث يحلون.. وتختفي معهم البهجة إن غابوا ولو ساعات ..

إلى الغائبين الحاضرين.. إلى من تفقد الدنيا مباهجها حين ينسحبون إلى كهوفهم المظلمة داخل أنفسهم دون أن يشعر بهم حتى أقرب المقربين لهم ..

إلى ذلك الواحد الذي إن وجد وسط مئة.. أضاءهم دون أن يُشعل أحدهم عود ثقاب ..

إلى الواحد في المئة أُهدي كلمات روايتي.. علّها تكون له يدًا تربت على قلبه.. وتقول له.. إننا نراك ونحسك ونحبك ونقدرك.. ونتمنى أن نكون أنت..

د/ داليا سيد



(١)

لم يستطيعا تمالك نفسيهما من الضحك.. عندما قالت:

«زهرة»: استنى هبعتلك حاجة.

قال مبتسمًا: أوك.. ابعتي.

– ها.. وصلت؟

نظر «عمر» لشاشة هاتفه ليجدها وقد أرسلت له صورة لشاشة هاتفها ليرى أن شحن هاتفها وصل لـ(١٪).. كما كان يشير هاتفه هو أيضًا.

كان هذا المشهد يتكرر في كل ليلة بعد ساعات طوال من الحديث الذي كان يجمعهما وينساب بينهما دون أدنى عائق.. لم يكن هناك ما يقف أمام استرسال حديثهما سوى إعلان هاتفيهما الاستسلام أمام الساعات الطوال التي كانا يتحدثان فيها لبعضهما.

كان صوت ضحكته التي كانت تراها بعين قلبها تخرج من صدره قبل أن تطرب بها أذنيها.. ضحكته بالنسبة لها سعادة كفيلة أن تجعل شفتيها مبتسمتين طوال اليوم.



وكانت ابتسامتها هي شمس يومه التي لم تعد تشرق إلا بسماع صوتها.. صوتها العذب الذي لم يكن يعلم أنه ما إن سمعه لأول مرة.. حتى فتحت له الدنيا بابًا لجنة الله على الأرض.

– زهرة.. بجد.. أنتِ إزاي كده؟!

– كده إزاي يعني؟!

– أنت شايفة إحنا بنتكلم بقالنا قد إيه؟!

بضحكة خجول قالت: آه.

بصوته الممزوج رجولة.. وعينيه التي تراهما عبر صوته يغازلانها.. قال: طيب إيه؟ ها إيه؟!

ضحكت بخجل: خلاص بقى يا عمر..

رأى بعيني قلبه وجنتيها وهما تتوردان خجلًا.

كانت تراه ويراها.. يشعر بها وتشعر به.. دون أن يجمعهما مكان.. ليس هذا فقط.. بل إن المسافات التي تفصلهما عن بعضهما كانت كبيرة.. كبيرة جدًّا..

لم تكن بداية تعارفهما تقليدية أبدًا.. مثلهما تمامًا.. فقد كانا يحملان قلبين متشابهين والكثير من الصفات المشتركة التي تميزهما عن كل من حولهما..

قصة بدأت بشعور غريب.. تبادلاه عبر شاشات إلكترونية.. فتلاقت قلوبهما وكلماتهما وأصواتهما.. بكل صدق..



تلاقت كلماتها التي كانت تكتبها بقلبها لا بقلمها.. مع قلبه الذي تألم كثيرًا ويأس من أن يجد ضالته يومًا وسط زحام من الناس يحيط به.. حيث هو من يشعر بالجميع ولا أحد يشعر به.

مثله تمامًا.. كانت هي.. سحابة تظلل الجميع.. لتحميهم من حرارة شمس.. تكوي ظهرها.. ومن قسوة برد.. تؤلم قلبها.

كان من السهل جدًّا احتوائهما.. ولكن.. لا أحد يبالي.

وجدا ضالتهما في بعضيهما.. وجدا الأمان والحنان.. وجدا السكينة.. وجدا الحب المجرد من الغرض.

كانت تجلس أمام شاشة حاسوبها الخاص.. وبعد أن كتبت مقالها الأسبوعي.. وإبان نزوله على الصفحة الإلكترونية للمجلة.. في التوقيت الثابت لها من كل أسبوع.. إذ بها يأتيها اتصال عبر حسابها الخاص للفيسبوك.. لم تعر للاتصال في المرة الأولى اهتمامًا.. وإذا بالمتصل.. يتصل ويتصل بإصرار شديد..

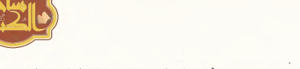
الاسم ليس غريبًا فهو لأحد المعجبين الدائمين بمقالاتها.. ومن المعلقين بكلمات رقيقة دافئة على كلماتها..

لم يبرح أن يتصل الاتصال تلو الآخر.. حاولت أن ترد ولكن شيئًا ما في جهازها لم يسمح لها بإتمام المكالمة.. وخلال ثوانٍ معدودات وجدته يكتب لها في شاشة المحادثة:

– أرجوكِ ردّي!

–؟!

– أنا لازم أكلمك!



شعرت بإحساس ما يشدها.. ثمة خطب كبير خلف هذا الإلحاح والإصرار الشديدين..

في نفس اللحظة التي كانت تكتب له فيها: «ممكن تكتبلي رقم حضرتك».. وجدته قد كتب لها: «اكتبيلي رقمك».

كان أسرع منها في ردة فعله.. فسبق رقم هاتفه الظهور على الشاشه أمامها.

أخذت تكتب الأرقام التي ظهرت لها منه بسرعة على هاتفها.. وضغطت زر الاتصال.. ليأتيها صوته المفعم بالحيوية والحياة..

- أستاذه زهرة.. أنت إزاي كده؟!

شعرت بحمرة الخجل تتسلل إلى وجنتيها بشدة.. وقالت في ارتباك:

- مش عارفة أشكر حضرتك إزاي.. كلك ذوق.

- أنا اللي بشكر حضرتك.. أنتِ بجد مبدعة.. أبهرتيني.

- متشكرة جدًا أستاذ.. عمر..

- بجد مش لاقي كلام أوصف بيه جمال كلماتك وطريقة تسلسل أفكارك.

- ربنا يخليك كلك ذوق.. كتير والله عليَّ.

- حتى صوتك عذب.

صمتت للحظة..

كان صوته المليء بالإحساس والمتعة.. انتقائه لكلماته.. طريقته العفوية التي عبر بها عن مشاعره تجاه مقالها.. شيئًا لافتًا لعقلها أولًا.. فقد أصبح اسمه مميزًا لديها دونًا عن آلاف المتابعين والمعجبين بمقالاتها..



كانت هذه هي البداية.. بداية القصة الخيالية التي سيعيشانها..

لم يلبث عمر من بعد هذه المكالمة في محاولات للتقرب منها.. لم يرد إلا أن يكون صديقًا مقربًا لها لا أكثر.. فقد رأى فيها شيئًا يجذبه لم يكن يستطيع أن يميزه بعد..

لم يخل صباح من الصباحات التالية لمكالمتهما الأولى من رسالة منه لها.. تحمل عبارات صباح الخير مع باقات ورد رقيقة.. وأحيانًا أغنيات.

لم يلفت نظرها حتى الآن أي شيء في»عمر».. سوى إحساسها بإصراره على محادثتها في تلك الليلة.. فلم يفعل سواه ذلك.. فقد كان هناك الكثير من المعجبين بكتاباتها وأسلوبها الشيق المميز.. كان صندوق رسائلها مليئًا بمثل عباراته وكلماته وإطرائه عليها وعلى أسلوبها.. مليئًا بالورود والأغنيات بل والدعوات للتعارف وتناول القهوة في أي مكان تطلبه.. ولكن لا أحد حاول الاتصال بها شخصيًّا ليعبر لها بطريقته الخاصة جدًّا.. وصوته المفعم بالإحساس.. فقد كانت تستمع إلى قلبٍ يتحدث وليس إلى صوتٍ فقط.

كانت «زهرة» تعيش بلا قلب منذ سنين أو بقلبٍ خامل.. قلب كفر بالحب ولم يعد يؤمن بوجوده في هذا الزمن.

عاشت زهرة تبحث عن الشخص «سباعي الأبعاد» بالنسبه لها.. لتكون هي أيضًا ألوان الطيف «السبعة» التي تلون حياته.

لطالما أحبت الرقم «٧».. خلق الله الكون في سبعة أيام.. السماوات سبع.. الأراضين سبع.. عجائب الكون سبع.. ألوان قوس قزح سبع..



كانت تبحث عن رجل يكون لها هؤلاء السبعة.. أب، أخ، صديق، ابن، زوج، حبيب، عشيق.

كيف استطاع «عمر» خلال شهرين فقط من عمر الزمان أن يكون لها كل هؤلاء؟!

بينما من كانوا في حياتها لسنين لم يستطيعوا أن يقوموا بدورٍ واحد على الأقل من أدوار الرجولة كما يجب أن تكون.. خاب ظنها في الكثيرين.. ولم يحدث أن خاب ظن أحدهم فيها أبدًا.. بل كانت دائمًا تفوق كل الظنون جمالًا وحنانًا وعطاءً..

خلال حديثهما.. شردت قليلًا.. ثم سألته: عمر.. طيب إحنا إزاي وصلنا للحالة اللي إحنا فيها دلوقت؟!

ضحك ثم أردف قائلًا: فاكرة في الأول خالص يوم ما سألتك.. أنتِ بتحاولي تبعديني عنك ليه؟! خايفة إني أتعلق بيكِ؟

أتاه صوت أنفاسها وهي تبتسم.. ليرى من خلالها خجلها بوضوح كأنه يراها أمامه رؤيا العين.. وهي تقول: طبعًا فاكرة.

– طيب فاكرة أنتِ رديتِ على سؤالي بإيه؟

ارتفع الدم إلى رأسها خجلًا عندما تذكرت عفوية وجرأة ردها في ذلك اليوم.. ثم قالت في صوت بُح من الخجل: قولتلك.. وليه ما تقولش إني أنا اللي خايفة أتعلق بيك؟

كانت تعني وتشعر بهذه الكلمات بالفعل.. فقد جعل اهتمامه بها وبكل تفاصيلها وتفاصيل يومها.. قلبها يشارك عقلها في بعض مشاعر الانجذاب له.



كيف لا، وهي من تهتم لأمر الجميع ولا أحد يهتم لأمرها.. كانت حياتها مليئة بالأهل والأصدقاء.. يحبونها.. يهتمون بها.. وتشعر بذلك جدًّا.. طالما كانت أمام أعينهم.. ولكن ما إن تختفي.. حتى يختفي الاهتمام والسؤال.. هي دائمًا من تبدأهم.. ولا أحد يبدأ بها.

بينما هو وحده من يهتم ويتابع وهي غائبة عن عينيه.. هو من يسأل.. هو من يبدأ بها يومه.. يبدأ بها في كل شيء.. هو ولا أحد غيره.. عيناه لا تراها.. ولكن قلبه يرعاها..

– زهرة.. سرحتِ في إيه؟

– مش عارفة.. بس بجد أنا مش متخيلة اللي أنا حساه دلوقت.. إنت هدية من ربنا يا «عمر».. هدية ربنا بيعوضني بيها عن كل لحظة خذلان عشتها في حياتي.

– وأنتِ.. حياة.. حياة تتعاش بكل تفاصيلها.. أقولك على حاجة؟

– إنت ما تسألش.. إنت تقول على طول..

– أنا نفسي أشكر كل اللي حبوكي قبل كده.. بجد نفسي أشكرهم وأحييهم على غبائهم.. لأنهم هما اللي إدوني الفرصة دي.. سابوكي عشان أنا ألاقيكي.. وأكون في حياتك..

يسمع أنفاسها الخجول وهي تبتسم.

– آه والله.. يعني لما واحد يبقى في حياته واحدة زيك.. وبتحبه كمان.. ويسيبها.. يبقى إيه غير غبي؟! وغبي قوووي كمان.. زهرة.. بجد أنتِ اللي زيك مش تتحب بس.. أنتِ تتشالي من على الأرض شيل.. أنتِ شرف إنك تمري في حياة الواحد بس.. فما بالك لما تكوني حبيبته!



– بجد كلامك كبير عليه قووي.. وإذا أنا كنت كده يبقى إنت إيه؟!

– بصي يا زهرة.. أنا حبيت واتحبيت قبل كده.. لكن عمري ما كنت كده مع أي واحدة غيرك.. وبصراحة عمري ما اتحبّيت بطريقتك.. أنتِ غير.. حاجة مختلفة.

كان عمر يبدو للكثيرين أنه شخص ذو قلب جاف خالٍ من المشاعر.. ولكنه من الرجال القلائل الذين إذا أحبوا أعطوا دون حساب.. قلبه هو الذي يسبقه.. سعادته يراها ويستقيها من قدرته على إسعاد الآخرين.. ولكن عطاءه كان مصدر لاستغلال البعض.. دون الاعتداد بمشاعره.

وكرد فعل لأصحاب القلوب النقية حين يُخذلون ويُخذلون وتخيب في أحبائهم الظنون.. قرر عمر أن يظهر دائمًا في مظهر الشخص اللا مبالي.. ذي القلب الجاف الذي يصعب اختراقه بالحب..

وحدها زهرة هي من رأت بداخله الطفل الضال.·. الذي تعمد أن يخرج نفسه من المدينة الفاضلة.. إلى مدن الواقع الملوثة..

على عكس زهرة التي ظلت متشبثة بوطنها.. فلم تخرج منه ولم تستطع يد الواقع أن تلوثها..

وما إن رأت يده تمتد لها من على حدود مدينتها.. حتى تشبثت به.. واجتذبته إليها.. وها هي تحاول تضميد جراحه.. التي أنهكه بها غدر زمانه ولوثته بها أيدي أدعياء الحب.. اللذين دخلوا.. قشرة حياته فقط.. ولم يكملوا رحلتهم في الغوص إلى أعماقه.. هم أيضًا أغبياء.. يا عمر.. أغبياء كمن لفظهم قلبي بعد أن عرفت على يديك معنى الرجولة في صورها كافة.



– عمر.. أنا في حاجة عايزة أقولك عليها.. كنت مترددة.. لكن علاقتنا دلوقت تستوجب عليه إني ما أخبيش عنك أي حاجة.

– تقدري تقولي اللي أنتِ عايزاه الوقت اللي تحبيه.. زهرة.. أنتِ خارج نطاق أي قانون بالنسبة ليَّ..

ابتسمت بسعادة يشوبها قلق من تصريحها له بما أخفته عنه الفترة الماضية..

– بصراحة علاقتنا في الأول ما تخيلتش إنها هتخرج عن إطار الصداقة وكنت حابه إنها تفضل كده.. ضمانًا لاستمرارية وجودنا في حياة بعض.. لأني حكتلك عن التجربتين اللي مريت بيهم وفي النهاية خسرنا بعض.. أو بمعنى أصح هما اللي كانوا مصرين يخسروني لأني كنت حريصة على علاقتي بيهم لآخر ما يمكن إني أتحمل..

– ده شيء أنا متأكد منه.. هما اللي خسروكي فعلًا..

وبصوت ممزوج بالكثير من الفرحة أكمل قائلًا: بس زي ما قولتلك قبل كده.. خسارتهم ليكي أكبر مكسب ليَّ.

ابتسمت ثم أردفت قائلة: لكن لقيت مشاعري ناحيتك بتتحول.. وعلاقتنا بتتطور بسرعة..

تنهدت ثم قالت: عمر.. أنا بطبعي كتومة ومش من السهل أبدًا إن حد يدخل حياتي.. والأصعب من كده إني أقول تفاصيل حياتي وخصوصياتي لأي حد.. حتى أقرب الناس ليَّ.. في حاجات كتير أنا ما حكيتش ليك تفاصيلها.. بس الحاجة الوحيدة اللي من حقك عليه تعرفها دلوقت هي...



وجدت نفسها تشهق بشدة وهي تعتدل في سريرها.. كان هذا الحلم يراودها كثيرًا.

«لحظة الاعتراف».. تلك اللحظة التي لا تفارق خيالها في صحوها ونومها..

منذ لحظة افترقت عن حبيبها السابق.. أحست أنها تفارق كل جمال الحياة وفرحها..

لم تحاول أن تلتقيه أو تعاود الاتصال به مجددًا..

بدأت حياة جديدة.. حياة عملية وأضافت لها طابع الحب ولكن من خلال كتاباتها فقط..

وفجأةً ظهر «هو».. كانت تخاف من حبها المفاجئ له.. وتحتار في أمر هذه المشاعر التي ملأت قلبها هكذا دون مقدمات.. إعجاب أو انجذاب.. كانت هناك بعض مقدمات بسيطة لصداقة تلوح في أفقهما وترتسم على ملامحها مظاهر الحب الخجول.

عادت لتسند رأسها على وسادتها.. لتستسلم لحلم آخر.. رأته.. نعم رأته..

كان هناك.. جالسًا يتأمل السماء.. كانت تطالعه من بعيد.. تراقب نظراته وأطراف يديه التي كان يمررها على شاشة هاتفه في اهتمام شديد.. يطالع أو يقرأ شيئًا ما..

كان يحتسي بعض القهوة في فنجان أبيض أنيق.. لطالما رأته كذلك..

لا تدري ما الذي جعلها تطيل النظر إليه.. حتى تمنت أن تكون فنجانًا يتناوله بيده.. ملعقةً يحتضنها بأنامله.. قهوةً يتذوقها بشفتيه..



رآته ينظر إلى ساعة يده وكأنه يقول لقد اقترب وقت الرحيل..

حزنت وقالت لنفسها.. لا أريده أن يرحل.. لا أريد لرؤياه أن تغيب عن عيني.. لم تشعر بنفسها إلا وقد نهضت متوجهةً إليه.. لتسأله كم الوقت الآن؟

نظر لساعته الأنيقة ثم نظر لها وقال: الساعه واحدة.. وحلّق طويلًا في عينيها كما رأته يحلق دومًا وهو ينظر إلى السماء..

كان الخجل يتملكها بشدة.. ودقات قلبها المتوترة.. أصابتها بالدوار.. واجتاح وجهها الاحمرار.. من شدة الخجل..

أمسكت بالمقعد كي تسيطر على اتزانها.. فبادرها بلهفة قائلًا: مالك.. في حاجة؟

لم تستطع الكلام ونظرت إلى عينيه وكأن عينيها تقولان له لا ترحل.. فأنا أريدك معي..

أغمضت عينيها لبرهة.. وإذا به يلمس يدها وهو يتساءل.. أنا شوفتك قبل كده؟!

أخبرته بأنها تأتي يومًا بعد يوم لهذا المكان وتراه دائمًا جالسًا في الجوار..

أشارت بأناملها الدقيقة ناحية طاولته وقالت بهدوء: باشوفك دايمًا.. على الطاولة دي بتشرب قهوتك..

كادت تكمل.. وأنت تحلق إلى السماء وتقرأ في شيء ما بشغفٍ شديد.. ولكن استوقفتها ابتسامته والتماعة عينيه وهو ينظر لها قائلًا: أنتِ متبعاني بقى..

خفق قلبها بشدة.. وخفضت عينيها في خجل..



قال: مال إيديكِ بترتعش وباردة كده ليه؟!

نظرت إلى عينيه والشوق يعتريها.. والكلمات قد غابت بعيدًا عن شفتيها.. خافت أن يدرك انجذابها له.. فأفلتت يدها من يديه وكانت تنتوي الرحيل..

أمسك يدها بشدة وقال: أنتِ رايحة فين؟ وما جاوبتيش على سؤالي..

زادت دقات قلبها عندما سمعت صوته الدافئ.. حتى إنها شعرت أنه سيسمعها بوضوح وهي تخرج عبر ضلوعها..

نظرت إليه وإلى نظرات عينيه اللتان تتفحصان ملامحها الرقيقة الهادئة.. ارتعشت يدها فى يديه ولم تعد تستطيع التحكم في اتزانها.. وقعت بين يديه.. وإذا بذراعيه تحيطانها فيما يشبه العناق.. حاولت الوقوف وهي بين ذراعيه وهي تسمع دقات قلبه وتستنشق عبير عطره..

وهو يجول بعينيه في عينيها بابتسامة قلق.. قال: ممكن أعرفً حاسة بإيه؟

قالت: أنا كويسة..

وهو يمد يده محاولًا أن يلمس وجهها قائلًا: لكن وجهك الذي كان متوردًا منذ دقائق.. بهت فجأة!

وجدت يدها المرتجفة تتقدم نحو يده ممسكة بها لتبعدها عن ملامحها التي اخترقها بدفء يديه وأنفاسه..

وعلى ما يبدو أنه قد سمع دقات قلبها المتسارعة.. فنظر لها مبتسمًا.. وقال: طيب ممكن تقعدي وما تتكلميش.. وكأنه أراد أن يتأملها فى صمت..

كان يريد أن يكتشف ما وراء سحر عينيها وخجلها البريء.. الذي حاولت إخفاءه خلف جرأة تصنعها..

– عمر.. أنا اسمي.. مش «زهرة»..

–...!





(٢)

كان عمر متعبًا من فتور مشاعره.. فقد كان قلبه قبل معرفتها خاويًا.. وأصبح لا ينقطع عن التفكير بها في غيابها.. ويهتم بها وبكل ما يهمها.. ويحاول جاهدًا أن يؤمّن لها كل ما تحتاجه.. وهو حاضر لتلبية كل ما تريد بمجرد أن تتمناه وقبل أن تطلبه..

يعرف أنه ذو مزاج يميل إلى الاكتئاب والحزن بسرعة.. ويدرك أنه مثقل بواقعه المتعب وأعماله غير الموفقة في كثير من الأحيان..

كما أنه يفهم أن الحب التزام ومسؤولية وزواج وأسرة... لذلك هو غير قادر على التورط بعشق امرأة مهما كانت.. إضافة إلى أنه يعرف بأنه من هذا النوع من الرجال الذي لا يستطيع الخضوع لقيد أو أسر حتى لو كان هذا القيد هو قيد الحب الجميل..

كان يغفو كل ليله على الصراع في داخله.. ويحاسب نفسه متسائلًا.. هل بتصرفه هكذا يؤذيها؟

كان يثق بها.. ويعجب في كثير من الأحيان بطريقة تفكيرها.. لم يدرك أنه أحبها.. فقد كان يحلم بها.. حلم بها تسير قربه متأبطة ذراعه.. أراد أن يسمعها



وهي متكئة برأسها على صدره مسترسلة في حديثها عن عشقها له.. وعن اللحظات الأولى لتعارفهما.. وعن معجزة الحب التي حدثت وجعلتها تكتشف أنه هو حبيبها الذي كانت تنتظره عمرها كله..

كان يرى نفسه يحيط كتفيها بحنان ويشدها إليه متلقيًا كلماتها بهدوء شديد ويحرص على مشاعرها الرقيقة والجارفة في آنٍ معًا.. ويسمعها تعيد سرد هذه الأحداث في مناسبات مختلفة.. وكل مرة بطريقة جديدة وكأنها تحكي عنها للمرة الأولى..

في بداية حديثهما.. انتابه تجاهها مشاعر أكثر من الصداقة التي يكنها للأخريات وأقل من الحب الذي يشتاق إليه.. كان يحترمها.. ويحترم صدقها.. يحترم مشاعرها.. ويحترم أنوثتها..

لذلك أخبرها عندما تغيرت مشاعره.. فلم يكن يريد أن يحرم نفسه من التمتع بكل هذا الحب..

فوجئ عمر ببردة فعلها.. التي اختلفت عمّا توقع.. فهي من بادرته بالاعتراف بما في قلبها..

كانت مختلفة حتى في ما تقوم به غيرها في مثل هذه المواقف.. فقد تدعي عدم الفهم أو الاستغراب.. لكنها واصلت تميزها وتفردها عن قريناتها واعترفت بما يكنه قلبها له..

كما فوجئ بها تخبره أنها لا يمكن أن تخسره.. وأنها ستبقى تحبه وتمنحه هذا الحب.. وأنها لن تفترق عنه أبدًا.. مهما حدث..



لم يفهم عمر في البداية موقفها هذا.. لكنه احترم إرادتها وإصرارها.. وأحب تمسكها به..

أحب حبها له وتعلقها به.. لم يمنع نفسه عنها.. ترك لها دائمًا حرية التصرف.. وفي الوقت نفسه لم يشجعها على أي أمر سوى الكتابة..

ولكنه بدأ يحلم بها.. كانت تطلب منه أن يسيرا معًا تحت المطر.. كان يشعر ببهجة ونشوة رائعة وهي تسير قربه ممسكة بذراعه في حب ودلال أنثوي وفرحة طفولية غامرة..

رأى نفسه معها على شاطئ البحر.. كانا يتأملان الأمواج الصاخبة.. كان يجد أنه من الطبيعي أن يحيط كتفيها بذراعه ليمنحها الاطمئنان والإحساس أنها تنعم بدفء رجولته أمام هذا العالم الصاخب الذي واجهته وحيدة.. مثله تمامًا..

كان يراها دائمًا.. الصامتة رغم كثرة أحاديثها؟ كان يريدها أن تتحدث وتتحدث ولا تحرم أذنيه من صوتها الحنون بما يحمل من حب ودفء ودلال..

كانت هي أيضًا تكتفي بالاستماع إليه والاستمتاع بصوته وهي بعيدة عن ناظريه.. وأخفت لفترة ليست بالطويلة في قلبها حبه الذي تسلل لقلبها دون أدنى مقاومة منها..

أما هو فكان يراقبها دون أن تلحظ هي ذلك.. كان يراقب كلماتها ونبراتها همساتها وضحكاتها.. شعر بأنها مخلوقة من حب وحلم.. وبأنها تخبئ من الحزن والذكريات الكثير..

لذلك فإنها منذ البدء دخلت في مسامه وعروقه وفي كل أفكاره..



أراد أن يخبرها بأنه ضاع بين غابات عينيها ووجد فرحه وحلمه.. هذا الفرح الذي كبر منذ البدء وتحول رقصًا حين صارت كلمات أشعارها بين يديه.. وصار جنونًا حين سمع صوتها..

فشعر بشيء من الحب.. بشيء من ذاك الذي الذي يصدمنا لا نعرف متى.. ويضربنا ولا نعرف كيف.. لكنه يجعلنا نضحك.. ونثور.. ونلعب كالأطفال.. وأحيانًا ودون مقدمات يجعلنا شعراء فتتغير ألفاظنا وتتغير قواميسنا وأفكارنا.. ويتغير حتى لون سمائنا.. ولون أعيننا وتصبح أصابعنا أقلامًا تخط قلوبًا وتفوح عطرًا وتعزف موسيقى..

فرحت كثيرًا لأن مشاعرها لم تكن من طرف واحد.. ورأت في كلماته وفي اهتمامه جمالًا يفوق كل جمال..

ففاض قلمها بقصائد الحب ليعبر عن فيض الحب في قلبها.. كانت أزهار الحب تنبت حين كان يتلاقى قلبه وعينيه بكلماتها.. ليتنسم منها عبير الفرح.. ويحتفظ بها بين طيات قلبه..

صارت تعيشه في غيابه وفي حضوره.. في غيابه كان ملكها كما تشاء.. كانت تتمنى حضوره فقد كانت تريد أن تتعلق بذراعه وتلقي برأسها على كتفه.. لم يكن يحدث كل ذلك سوى في خيالها فقط..

كانت تحاول أن تمنحه كل ما لديها من عشق وحب وعطاء ولم تكن تطلب منه شيء.. كانت ترغب فقط في أن يتلقى حبها ليفيض هذا الحب على حياته.. ويتعلمه ويفيض به هو على من يشاء.. لم تكن أنانية في حبه.. لم تكن الأنانية من طبعها يومًا.. فكيف تمارسها على من أحبت؟!



كانت كلما اقتربا من بعضهما.. يزداد عمق إحساسها بأنها ستغادر حياته في لحظة ما توشك أن تأتي.. وأنها تعيش معه بداية النهاية لذلك لن تمتلكه في حضوره.. يكفيها صوته.. كان بالنسبه لها الحياة الحقيقية..

على صفحة بيضاء تحبه كما تشاء.. ويحبها كما يشاء..

على أوراقها سيبقى إن غادرت هي.. لن يموت بموتها.. ستمنحه الحياة بعدها.. وسينال ما يشبه شهرة اللواتي عشقهن جبران أو نزار.. حين يعيش هو من خلال كلماتها..

كانت تهرب في حضوره من خوفها وهواجسها التي تحاول أن تدفنها في أعماقها لكي لا يلحظها.. وتستمد مما تعيشه معه مشاعر لطالما افتقدتها في من أحبوها وأحبتهم قبله..

كانت تمنحه الحياة بعدها كما منحها هو بقربه واهتمامه كل ما هو جميل.. فقد وهبها ما يكفي لبقائها على قيد الحياة.. وليست أي حياة.. إنها حياة بمذاق الجنة..

لذلك حين كان يسألها عن صمتها وشرودها كانت تقول له: بحبك.. وبس.. بسمعك.. بحب صوتك..

كان يتعجب كيف لفتاة مثلها.. ليس لها أي متطلبات من شاب يتودد لها بكافة الوسائل وينتظر أن تطلب ليلبي..

فتجيبه: أنا مش عايزة أي حاجة يا عمر.. أنا بفرح بوجودك جنبي وسماع صوتك وإني أطمئن عليك وده يكفيني.. وبيخليني في قمة سعادتي..



دار كل ما سبق في عقليهما.. في الدقائق الصامتة التي تلت قولها: عمر.. أنا اسمي مش «زهرة»..

لتطلق بعد هذه الكلمة مفاجأة من العيار الثقيل..

– أنا اسمي الحقيقي.. «حنين».

صمت عمر للحظات قبل أن يقول بصوت ضاحك ظنًّا منه أنها تمازحه: مش فاهم!

بصوت اختنق ببكاء لم ترد أن يقطع عليها جرأتها التي أخيرًا استجمعتها..

قالت: هفهمك بس إدِّيني فرصة أوضحلك.. واسمعني زي ما عودتني دايمًا.. ممكن؟

بدا على ملامح وصوت عمر آثار الاستغراب والقلق.. قائلًا: اتفضلي.. أنا سامعك..

– عمر.. اسم زهرة ده اسم وهمي.. بوقع بيه بس على مقالاتي اللي أنا بكتبها.. لكن أنا اسمي الحقيقي.. «حنين».. أنا آسفة بجد.. وراضية بأي حاجة هتقولها عني.. لكن صدقني أنا ما تخيلتش إننا نقرب من بعض للدرجة دي.. وما كنتش عايزة حد يعرف عني أي شيء.. أنت الوحيد اللي كسرت القاعدة دي.. إنت الاستثناء بالنسبة لي يا عمر.. أرجوك سامحني.

بعد دقيقة من الصمت مرت ثوانيها على حنين كستين سنة.. قال عمر: يعني الفترة اللي فاتت دي كلها أنا كنت ما اعرفش أنا بكلم مين؟

قاطعته بسرعة قائلة: لاء.. يا عمر.. اسمي بس.. صدقني اسمي بس..



– أنتِ عارفه ده معناه إيه يا.. أستاذة «حنين»؟ معناه إنك ما وثقتيش فيَّ.. ما وثقتيش فيَّ للدرجة اللي خفتي تعرفيني فيها اسمك الحقيقي..

بدأ صوت بكائها يأتيه عبر سماعة هاتفه.. للمرة الأولى منذ أن بدأ يحادثها.. لم يستطع أن يهون عليها أو يطمئنها.. فقد كانت صدمته فيها قوية جدًّا..

قالت بصوت يملأه الندم: عمر.. أنا آسفة.

– أستاذة حنين.. هستأذنك.. محتاج أنهي المكالمة دلوقت..

أغلق عمر الخط.. تاركًا وراءه حنين وقلبها وعينيها يقطران دمعًا ودمًا..

عاشت «حنين».. ما يشبه الغيبوبة في الأيام التالية لمكالمتهما الأخيرة..

حاضرة.. غائبة.. ضائعة دون صوت حبيبها عمر الذي كان لها السند الحقيقي في غربتها.. كانت خائفة من كل شيء وغير قادرة على التفكير.. لم تكلم أحدًا ولم تغادر سريرها وغرفتها بقلبها المريض.. الذي كتب عليه العذاب منذ أن خلق..

اشتد عليها المرض.. للدرجه التي غابت فيها عن وعيها أثناء دوامها ونقلت للمستشفى..

أخبرها الطبيب بضرورة إجراء عملية جراحية دقيقة.. في أقرب وقت ممكن.. فحالة قلبها لم تعد تستجيب للأدوية كالسابق.. غادرت الطبيب وهي ميقنة.. بأن هذا هو قدرها وليس عليها سوى الصلاة والانتظار..

قررت أن تخوض العملية الجراحية.. فلم يعد هناك ما تبكي لفقده.. قالت لنفسها: ماذا تريدين أن تحققي في دنياكِ.. وأنت على وشك فقدانها؟ كيف ستتعاملين مع نفسك ومع الآخرين وفق هذه الحقيقة.. حقيقة الرحيل المؤكدة؟



عادت لمسكنها برأس مثقل بالأفكار والأحزان.. نامت فرأته.. نسيت كل شيء وسكنها الفرح فجأة.. غرقت في عينيه.. في صوته..

ارتقيا صخرة مرتفعة قرب شاطئ كان الموج يضرب وجهيهما وهما يلتقطان الحصى والأصداف.. ويضحكان.. لم يتكلما كثيرًا.. نطق اسمها بصوته العذب الجميل.. «حنين»..

غابت في صوته وكأنها تكتشف منجمًا من الماس.. وطغى بريق الماس في صوته.. على صوت البحر المتخبط في أمواجه القلقة.. كقلبها تمامًا..

وفجأة ساد الصمت بينهما.. سألته وقد تنبهت لشروده: «عمر»!

رأت على ملامحه التردد وزاغ بنظره عنها.. ليقول:

أنا آسف على اللي هاقوله لك.. بس أنا حملت مشاعري ناحيتك أكثر مما هي عليه.. أنا قدام حبك ونبض مشاعرك وكلماتك بلاقي نفسي عاجز وغير جدير بالحب ده كله..

صمتت وشعرت بما يشبه النزف في روحها.. وكأن جرحًا أكبر من البحر يبتلعها وينزف بألم لا تدري كيف تصفه..

رفعت عينيها إلى الأفق.. إلى السماء الملتصقة في نهايتها بالبحر.. ماذا تقول له.. كادت تنطق بكل ما يعصف بها من وهم تعتقده حقيقة.. ومن حقيقة قد تكون وهمًا.. كادت تصرخ بآهٍ جريحة يخشع لهول ألمها البحر الصاخب.. لكنها قالت بهدوء يشبه هدوء النسمات:



مفيش حاجه اتغيرت يا عمر.. أنا بحبك.. ودي الحقيقه الوحيدة في حياتي.. إذا كنت ما بتحبنيش أنا مش هخسرك زي ما وعدتك.. وهحبك دائمًا.. ممكن تسمحلي أحبك لوحدي.. ممكن؟!

أفاق عمر من حلمه.. بعد أن رآها.. وسمع صوتها الذي اشتاقه كثيرًا.. صوتها ما زال يتردد على مسامعه.. وهي تقول بصوت حزين: ممكن تسمحلي أحبك لوحدي.. ممكن يا عمر؟!

كانت تصلِّي كل ليلة.. وترفع من أجله صلاة خاصة إلى الله.. تسأله أن يلهمها ماذا تفعل.. هل تخبره عن جراحتها أم لا؟

كانت تخشى أن يحزن لأجلها ويعيش ترقبًا مرعبًا يزيد من هموم حياته..

كما أنها كانت تخشى من ردت فعله وتصرفاته تجاهها.. أو أن يتعامل معها فيما بعد بدافع الشفقة..

ثم ماذا لو لم تنجح الجراحة؟! لم ترد أن يعيش في ندم عليها وفي حزن وأسى مرير.. ألا يكفيه الآن ما جعلتيه يشعر به من خديعةٍ.. وكذب؟!

كانت الحيرة تعذبها وتؤرقها كثيرًا.. لقد غيرت كل نمط حياتها على أساس أن وهمها في حب عمر أصبح حقيقة واقعة لا محالة.. وأحبت هذا التغيير..

كان قرارها الأخير أن تترك كل شيء بعدها مرتبًا وآمنًا وجميلًا.. لكي لا تترك لأحدهم ألمًا.. غيرت الكثير من تعاملها مع الجميع بشكل لا يشعرون معه بأن أمرًا مهمًا على وشك الحدوث.. كانت تتمنى أن تكون كذلك إلا معه هو.. فقد حاولت أن تبقى كما عرفها للمرة الأولى حين أحبته وأحبها..



أرادت أن تعيش معه يومًا بيوم.. تقبل ما يقدمه لها.. ولا تطالبه بأي شيء.. وأبدًا ما كانت تطالبه بشيء.. حتى الاتصال.. صارت هي من تكتب وتجعل من كل لحظة لهما معًا قصة قصيرة صنعت منها عالمًا آخر يشبه الواقع أو يوازيه.. كان دائمًا ما يمتدح موهبتها وكتاباتها.. ثم يضحك وهو يقول لها: كل مرة بتبهريني.. أنتِ مجرمة كتابة..

كانت تضحك في خجل.. وتتساءل في نفسها.. أتراها تقدم الوهم للناس؟ فالحب الذي تكتب عنه غير موجود أو على الأقل موجود في قلبها هي فقط..

الحقيقة قد تكون وهمًا.. والوهم قد يكون حقيقة أقوى من الواقع.. كانت تريد أن تمحو الحدود بين وهم الحب المجرد من أي غرض وبين الحقيقة ليصبح كل شيء حقيقة..

و لكن رغم أنها من تصنع وتجسد من وهم الحب حقيقة.. لم يكن يرى في عينيها سوى الحزن المبتسم في براءةٍ ساحرة..

كانت على قناعةٍ أن الحب حين يصير حقيقة.. سيحتل الفرح كل المسافات الصغيرة جدًّا والتي قد لا نحسبها مسافات..

منذ مكالمتهما الأخيرة كانت تزوره كل ليلة في أحلامه.. رآها تأتيه وهي تقول له مبتسمة بدمع حزين في عينيها: ممكن تسيبني أقعد جنبك وأخلي راسي على صدرك وما تسألنيش عن أي شيء..

وهي تشير بأصبعها الرقيق إلى صدره.. أردفت قائلة: أنا هنا أكثر مكان بحس في براحة..

بينما رأته هي وهو يقول لها: تعالي أنا منتظرك..



ردت في حزن: لا مش هاجي.. أنا خايفة عليك من حزني وكآبتي..

- ما يهمكيش تعالي وقولي لي عن كل اللي مضايقك ومزعلك ومخليكي حزينة وأنا أخففه عنك.. مش ده كان وعدنا لبعض.. تعالي لأني مشتاقلك..

ثم استدرك قائلًا: إلا إذا أنا كنت سبب حزنك..

رجته أن يصمت وأن لا يتكلم بهذه الطريقة.. «إزاي تقول على نفسك كده؟ ده إنت جنتي على الأرض يا عمر!»

قال متوسلًا: خلاص يبقى تعالي.. ولو كنتي مش عايزة تحكيلي عن سبب حزنك اللي أنا حاسه فاكتبي لي عنه.. المهم ما تسيبيش الحزن يسيطر عليكي بالشكل ده.. أنا بخاف عليكي من حزنك..

- أنا عيزاك دايمًا تشوفني جميلة وسعيدة زي ما عرفتني أول مرة..

استيقظ العاشقان في نفس التوقيت.. ليمسك كل منهما هاتفه.. غارقين في تفكير عميق..

أين الوهم؟ وأين الحقيقة؟!

ما الفرق بين أحلامه وأحلامها؟!

كانا يحلمان نفس الحلم.. يشعران ببعضهما بنفس الدرجة وفي نفس التوقيت.. كانا تجسيدًا لمعنى روح واحدة في جسدين..

لقد قال لها اكتبي.. ستكتب له.. أجل ستكتب له.. وهم.. حقيقة.. لا يهم.. وستترك له أن يختار بنفسه ما يزيد.. هذا التفكير أعاد لها الأمل بالحياة.. ألم يقل لها يومًا: «الحب والإيمان يصنعان المعجزات.. الحب معجزة من الله».



ستكتب.. لأنها تخشى أن تخونها دموعها فيما لو تكلمت معه بهذا الموضوع.. ودموعها هي الشيء الوحيد الذي لا تريده أن يراه.. ستكتب له وحده فقط.. هو فقط من يهمها أن يعرف بهذا الأمر من بين كل الناس.. قضت الليلة تكتب رسالة.. بثت له فيها كل ما يعتمر في قلبها وعقلها منذ يوم عرفته.

أخبرته كم تحبه وجعلها كرجل بما تحمل كلمة رجولة من معنى.. تزداد حبًا له وتشبثًا وتمسكًا به يومًا بعد يوم.. هي وحدها من تعلم حقيقة هذا الشعور.. شعور من يحبك بلا غرض أو هدف.. هو من أحبها كأبيها واعتبرها ابنته.. هو وحده ولا أحد سواه..

وكأنما وصلت إليه حيرتها المرسومة على ملامح وجهها.. فاستقبلها فاتحًا ذراعيه واحتضنها بحنان دافئ.. قبّلته على خده بشوق وحزن عارم.. هكذا رآها في أحلام يقظته..

حسمت أمرها.. وحسم أمره.. ضغطت زر إرسال رسالتها.. في نفس اللحظة التي كان يضغط فيها على زر الاتصال بها..

– حنين.. أنتِ كويسة؟

– ....

لم تتمالك حنين نفسها من البكاء.. وحاولت أن تبتلع دمعها وزفرة الحزن وغصة القلب المشابهة لذلك اليوم الذي مر عليه ٤ سنوات كاملة.. تذكرت صوت الخوف في كلمات يوسف في تلك الليلة وهو يحاول إفاقتها حينما ذهبت له وفقدت وعيها بين يديه من شدة الإعياء.. قفزت أمامها الصورة تلو الصورة والحدث تلو الحدث.. أيعقل أن جميعكم كنتم في حياتي لفترة شفقةً عليَّ لا أكثر..



هذا ما أخبرها به يوسف في المرة الأخيرة التي التقته فيها.. فبعد أن نقلها للمستشفى وأفاقت واطمأن عليها.. أخبرها بصدق.. أنه لم يُحِب أو يُحَب كما أحبها وأحبته يومًا.. ولكن.. عند هذه الكلمة «ولكن».. أدركت حنين أن كل ما قيل قبلها ينتمي لعالمٍ وما سيقوله بعدها عالمٌ آخر.. أخذ يوسف يسرد لها قصة علاقته الأخيرة بفتاةٍ وعدها وعائلتها بالزواج.. فقد تأخرتِ عليّ كثيرًا وأردت أن أُكوِّن أسرةً أستقر فيها.. وأنجب أطفالًا يحملون اسمي كي لا يعيشوا في الحياة وحيدين مثلي..

أهذا أنت يا يوسف؟! ردد قلبها هذه الكلمات وهي تنصت له بأعينٍ وشفاهٍ مبتسمة وقلبٍ يحتضر من الخجل والحسرة على الأيام التي كانت تبيتها باكيةً بقلبٍ موجوع على فراقه واشتياقها له..

خاطبها قلبها بحدة.. «ستظلين هكذا ما حييتِ.. ساذجة بقلب ضعيف.. أُنير لك الطريق فتهربين وتختبئين كطفلةٍ لا تريد أن تصدق أو تؤمن بوجود الوحوش.. صغيرتي.. أن تغمضي عينيك عن رؤية الأشياء لا ينفي حقيقة وجودها».

استفز العقل كرامة قلبها وأوشكت أن تطلب من يوسف الصمت لتقول له: أتظنني جئتك أطرق بابك لكي أعتذر منك؟! نعم جئت لأعتذر.. ولكنني جئت أعتذر لأني منحتك أكبر من حجمك.. واستضفتك في قلبي وتجولت معك في خيالي..

وراقصتك تحت المطر.. ومنحتك دور البطولة في حكاية مصيرية.. جئتك أطرق بابك كي أبوح لك.. بأنني أدركتُ متأخرة جدًّا.. أن الحب شيء آخر ليس أنت.. وأن الحنين شيء آخر ليس أنت.. وأن الغيرة شيء آخر ليس أنت.. وأن الحكاية كانت نزوة طفولية مني..



جئتك أطرق بابك كي أقول لك شكرًا.. لأنك أدركت قبلي عمق المسافة بينك وبيني.. وحاولت أن تشرح لي جاهدًا..

الفرق الشاسع بين السماء والكرة الأرضية.. جئتك أطرق بابك كي أبرهن لك.. أني ما زلت على قيد الحياة.. وأن رحيلك لم يقتلني كما ظننت.. وأن غيابك كان حزنًا تافهًا.. وأن جرحي كان سحابة صيفية..

جئتك أطرق بابك كي أثبت لك.. أني أغلقت دونك كل الأبواب.. وأصبحتُ بعدك امرأة قوية.. جئتك أطرق بابك كي أقدم دعوتي لك.. لنحتفل بالنهاية معًا.. ونطفئ شموع الحكاية الجميلة.. ونسدل ستائر النهاية..

و لكن لسانها لم يقل سوى: ربنا يوفقكم في حياتكم ويسعدك ويرزقك الذرية الصالحة.. أستأذنك..

غادرت المكان.. وهي تشبه سحابةً أثقلها المطر.. وما إن اختلت بنفسها حتى انهمرت..

أعاد صوت عمر وهو يرجوها الرد عليه لها وعيها جزئيًا: حنين أرجوك كفاية عياط وردي عليّ.. مالك؟ أنا شايف دموعك.. لو عشان اللي حصل.. أنا مسامحك بس من حقي أعرف ليه خبيتي عني.. هل أنا مش محل ثقة؟ ما قدرتش أخليكي تثقي فيّ؟ ردي عليّ.. طيب هقولك طمنيني عنك دلوقت.. ونتكلم في الموضوع ده بعدين..

أتاه صوتها المبحوح من كثرة البكاء: عمر أنا داخلة عملية بكرة.. مش عاوزة حاجة غير إنك تسامحني.. وتدعيلي..



انتفض قلبه بشدة.. إذًا هذا ما حدثني به قلبي يا حنين.. هذا ما رأيته في حلمي وساقني إليكِ.. أنت لست بخير.. «عملية إيه؟ وليه ما قولتليش من بدري؟ ليه بتعملي كده؟»

– أنا عارفة إن في غموض وأسئلة كتير في بالك عني.. وحقك تبعد عني وتقرر ما تعرفنيش تاني بعد اللي حصل.. بس أنا ما بحبش حد يقرب مني أو يتعامل معايا من باب الشفقة..

– طيب ممكن بس واحدة واحدة.. شفقة على مين ومن إيه؟ أرجوكِ واحدة واحدة.. خدي نفسك كده بالراحة وأنا معاكِ أهو باسمعك.. أول حاجة.. هتعملي عملية إيه؟

– عملية قسطرة للقلب.. أنا عندي مشكلة في قلبي مولودة بيها.. الفترة الأخيرة دي التعب زاد عليّ.. والأدوية ما بقيتش تجيب نتيجة.. الدكتور قرر إن الحل يعمل قسطرة استكشافية عشان يحدد حالة القلب وصلت لفين بالظبط..

جاءها صوته وقد خفت من الصدمة..

– كل ده يا حنين شيلاه لوحدك؟!

– كل ما بتقولي يا حنين بقى عاوزة أعيط..

– ليه؟ هو اسم حنين بيشوّكك ولا إيه؟!

وضحك ضحكةً باهتة.. محاولًا أن يخفف من خوفها وخجلها منه..

يفهمها وتفهمه للدرجة التي يرى فيها دموعها التي تحاول إخفاءها وترى قسمات وجهه الحزينة رغم صوته الضاحك.. وهو لا يراها وهي لا تراه..



– سيبك بقى دلوقت من موضوع حنين ولا زهرة.. أنا عاوز أعرف العملية الساعة كام؟ ومين هيكون معاكِ؟

– العملية الساعة ٩ الصبح ومحدش هيكون معايا.. ربنا..

– ونعم بالله.. ما ينفعش يا حنين.. مافيش حد من زملاتك ولا أصدقائك يكون معاكي.. لازم أرجوكي.. طيب على الأقل عشان أعرف أطمن عليكِ من حد..

– في واحدة من زمايلي ممكن أخليها تكون معايا واسيبلها الموبايل لو حبيت تطمئن منها..

– تمام أووي كده.. ربنا يريح قلبك.. بس عارفة يقين أنتِ هتقومي وتكوني زي الفل.. بلاش صوتك المكسور ده.. ده أنا بستمد قوتي منك ومن شقاوتك وضحكتك..

– مسامحني يا عمر؟

– هو إيه اللي حصل أصلًا عشان أزعل منك؟ أنا معاكي وهدعيلك ترجعي لي بالسلامة.. وبعدين يلا نشد حيلنا عشان تنزليلي مصر بالسلامة.. عاوز أشوفك بقى..

– حاضر..

– اسمها إيه صاحبتك اللي هتكون معاكي؟ عشان أكلمها أتابع معاها وأطمن عليكِ منها؟

– ليندا.. من النرويج هي..



– ولا يهمني.. إيه المشكلة يعني؟ هخاف أنا مثلًا؟ ده حق النرويج دولة أوروبية شقيقة.. وضحك..

جاءه صوت ضحكتها الخافتة الممزوجة بالدموع.. أغمض عينيه للحظة ليتمالك تنهيدة ألم كاد يزفرها.. لا يريد أن تراه ضعيفًا.. يعلم أن ليس في حياتها سواه الآن.. وابتعادها عنه أصبح مشابهًا لفراق روحه عن جسده..

الأيام السابقة التي ابتعد عنها فيها كانت أكبر إثبات.. فشمسه لم تكن تشرق.. روحه مكبلة.. فكره مشلول.. أيامه تشابهت لا حياة فيها..

– قوليلي حاسة إيه دلوقت؟ لما كلمتك! هقولك أنا الأول.. كنتِ وحشاني جدًّا.. أيامي ملخبطة.. تقريبًا ما ضحكتش خالص.. نومي وحش.. سجاير وقهوة وقهوة وسجاير..

عندما وجدت صوته هادئًا وبدأت تستشعر أنه افتقدها حقًّا ولاح لقلبها بوادر اطمئنان أنه سامحها عن ما أخفته عنه.. أخذت تمسح وجهها بكفها الرقيق البارد..

وقالت بهدوء وهي تلتقط أنفاسها المتقطعة من البكاء: وأنا كمان زيك..

قاطعها: زيي؟! شربتي سجاير يا حنين؟!

ضحكا معًا ووجدته يقول: أيوه كده بقى أخيرًا الشمس طلعت..

ثم أردف قائلًا: بصي بقى يا ست البنات.. إحنا دلوقت وخلي بالك من إحنا دي.. عشان من هنا ورايح هناخد بالنا من الضمائر وإحنا بنتكلم.. يعني مافيش أنا أو أنتِ.. في إحنا.. تمام؟!



ثم سكت لبرهة: يعني مش سامع رد!

– حاضر..

– حاضر.. حاف كده؟! اسمها حاضر يا سي عمر.. ويا ريت تستربّي أووي على «سي» دي.. ماشي؟

ضحكت مرة أخرى..

– الله أكبر.. الشمس طلعت مرتين النهارده.. أكمل كلامي بقى.. حرّتك وخدي بالك من حرّتك دي حرّتك.. هنقوم دلوقت نغسل وشنا.. وترجعي لي نكمل كلامنا.. اتفقنا؟

– حاضر.. اتفقنا..

– تعالي هنا رايحة فين؟

– هغسل وشي..

– أنتِ قولتي.. حاضر.. اتفقنا وماكملتيش..

– مش فاهمة.. أكمل إيه؟!

– حاضر.. اتفقنا.. يا سي عمر أفندي باشا الكبير..

قالت وهي تضحك: بس بقى يا عمر..

ضحك هو أيضًا: يلا مستنيكِ..

تركت الهاتف وسمع صوت خطواتها تبتعد.. أطلق التنهيدة التي خبأها عنها.. وحدثها في نفسه قائلًا: عاوز أقولك أنا خايف.. عاوز أقولك أنا بطمن بيكِ..



خايف تسيبيني وتمشي يا حنين.. أنا سامع صوت خطواتك دلوقت بتبعد.. عاوز أقولك خديني معاكي.. إزاي بقى لما ياخدوكِ مني..

كنت عايش وأنا متأكد إن أنفاسك على وجه الأرض رغم المسافات اللي بينا.. هي الهواء اللي بيبجي لرئتي عشان أتنفسه وأفضل عايش.. أرجوكِ امسكي في الدنيا.. أنا عاوز أعيش..

قطعت أفكاره فجأة بعودتها..

– عمر.. أنا...

لم يدعها تكمل جملتها:

– حنين.. أنا ما صدقت لقيتك..

ممكن ما تسبنيش؟



(٣)

قالت بوجل:

– مالك؟ ليه صوتك اتغير كده؟

– ممكن يا حنين؟ ممكن؟

– حاضر.. بس قول لي بربنا مالك؟

– أنا تمام بس عاوزك توعديني ما تسبنيش تحت أي ظرف من الظروف.. وأنا أوعدك مش هخذلك أبدًا..

صمتت للحظات.. فقد كانت لكلمة «الخذلان» وقع مؤلم على قلبها..

– توعديني؟

حدثها قلبها بصدق مشاعره الذي عهدته منذ عرفته من مكالماتهما الأولى.. وصدق عليه بصوتٍ يتردد بين أضلعها.. امنحيه الفرصة يا حنين.. أرجوكِ.. ووجدت لسانها ينطلق..

– أوعدك يا عمر..



تهلل صوته كطفلٍ فرح بموافقة أمه على طلبٍ تمناه ولم يُخيل له أنها ستقبل يومًا: حنين.. هبعتلك حاجة.. ممكن تسمعيها؟

حاولت هي بدورها أن تخفف عنه هي هذه المرة.. فقالت تمازحه: حاضر يا سي عمر أفندي باشا الكبير..

– الله عليكي.. يلا بينا.. هبعتهالك اسمعيها.. وهكلمك تاني.. سلام مؤقت..

وجدته وقد أرسل لها «اوعديني لرامي جمال»..

لم تكن هذه هي أولى الأغنيات التي يرسلها لها عمر.. تذكرت وهي تفتح هذه الأغنية.. الأغنية الأولى التي أرسلها لها.. ففي بداية تعارفهما، وعندما كان ينتظر محادثتها كل ليلة بعد أن يعود من عمله.. عادت هي من عملها متعبة واستسلمت للنوم قبل موعد مكالمته.. استيقظت في الصباح لتجده وقد كتب لها: «النوم خدك مني.. رغم إني زعلان عشان مش هسمع صوتك.. نوم الهنا يا رب».. وترك لها أغنية «يا بخت النوم – عبد الفتاح الجريني».

سمعت حنين (اوعديني) بصوته هو.. رأته هو.

ووجدت نفسها.. تستلقي على سريرها مغمضة عينيها.. ورأته يحتضنها برقةٍ وحنان.. يراقصها بخطواتٍ هادئاتٍ ناعمات.. عيناه تتفحصان ملامحها بحبٍ.. لا بل بعشق.. ذابت بين يديه.. وأسندت رأسها إلى كتفه.. أي كم أشتقت إليك.. فمنذ رحلت لم أذق طعم الدفء إلا الآن.



رفعت وجهها لتنظر إليه.. «وحشتني أوي يا بابا»..

أيقظها هاتفه.. وصوته: أنتِ نمتي أنا آسف إني صحيتك.. بس استنيتك تقولي لي رأيك في الأغنية.. وقلقت لما اتأخرتِ عليّ في الاتصال.

– حلوة أووي يا عمر.. أنا اللي آسفة.. النوم غلبني..

– ولا يهمك.. أنتِ تعبتِ وحقك ترتاحي.. قولي لي أصحيكي الساعة كام الصبح عشان نجهز وننزل سوا.. أنا مش هروح الشغل.. هصحيكي وأفضل معاكي لحد ما توصلي المستشفى بالسلامة.. على فكرة أنا قريت عن العملية دي سهلة جدًا ومش هتكمل ساعة بأمر الله.

ارتسمت على وجهها علامات التعجب.. وحدثت نفسها.. عمر.. أنت ازاي كده؟!

– يعني إيه مش هتروح شغلك.. لاء طبعًا.. هتروح وأنا أول ما أخرج وأفوق من البنج هكلمك أو هكتبلك أطمنك.. وبعدين أنت بجد قريت عن العملية؟!

– هو إحنا بنلعب يا بنتي.. ده أنا معاكي بالنفس.. تقومي وترجعي لي بألف سلامة يا رب.. هستأذنك بس تشحني تليفونك وتخليه في إيد ليندا ما تسيبوش.. عشان أطمن عليكي منها كل شوية.. اتفقنا؟

– مش عارفة أقول لك إيه؟

– لاء أنتِ عارفة.. ها لحقنا ننسى!

ضحكت..

– لاء ما نسيتش.. حاضر يا عمر أفندي باشا الكبير..



– شطورة بنوتي..

بنوتي!

– عمر.. أنت ليه قلت بنوتي دلوقت؟!

– عشان أنا باباكي يا حنين.. أنا من يوم ما عرفتك وحاسس إنك بقيتي مسؤولة مني.

ارتسمت على شفتيها بسمة مع دمعة سقطت من عينيها..

– ممكن أقول لك على حاجة كمان؟

– امم.. اتفضل.

– أنا من يوم ما عرفتك وأنا عاهدت ربنا إني ما اكونش سبب زعلك أو دمعك أو إنك تباتي زعلانة في يوم حتى لو مش أنا السبب.. عشان كده لو سمحتِ.. مفيش دموع تاني.. لأني بجد بحس لما بشوف دموعك إني ماليش أي لازمة في حياتك.. ماليش لازمة في الحياة من أساسه..

– ربنا ما يحرمنيش منك أبدًا..

– عارفة الدعوة الأحلى إيه؟ تقولي ربنا ما يحرمكش مني أبدًا.

– طيب أرد أقول إيه بقى بعد كلامك العسل ده؟!

– تقولي.. نصبح على خير.. وأرد عليكي أقولك يعني نصبح على حنين وصوت وشمس حنين..



نامت حنين.. ولم ينم عمر.. أصبح متعلقًا بها للدرجة التي لم يتخيلها يومًا.. أصبحت تسري في كيانه مجرى الدم..

استوقف صوته الباكي خطوات أمه عند باب غرفته..

استرقت النظر لتطمئن عليه.. فوجدته ساجدًا باكيًا.

كان يردد اسمها المرة تلو المرة.. كان يرجو الله:

«يا رب.. أنا خايف.. إلا هي يا رب.. إلا هي.. أرجوك».

لأول مرة يشعر بالعجز.. ليس معها.. ولا يستطيع للوصول إليها سبيلًا..

حبيبتي.. صغيرتي المدللة.. بين يدي أطباء.. يجرحون قلبها.. يؤلمونها.. وحيدةً.. لا حول لها ولا قوة..

يراها ممددةً.. نائمةً بين يديهم كملاك.. آآآآآاه يا قلبي.. كيف لي أن أخطفك من بين أيديهم وأخبئكِ في صدري.. حيث اللا مرض واللا ألم..

صغيرتي تماسكي أرجوكِ.. تشبثي بالحياة لأجلي.. «عشان خاطري اجمدي.. عشاني.. مالهش غيرك في الدنيا».

كانت في بُعدها تسيّر حياته من حوله.. يتكلم وقد يضحك.. قد يمازح هذه أو تلك.. ولكن في الصدر فراغٌ عظيم.. بل إن صدره خلا من نبضاته.. فقلبه هناك.. حيث هي..

استيقظت حنين على هاتف من «لبندا».. كانت لبندا أقرب زملائها في العمل لها.. تكاد ترتقي لمرتبة الصديقة.. ولكن حنين وطبعها الكتوم.. لم تكن تطلع أيًا من أهل الأرض على أسرارها وما يدور في قلبها.. ما عداه هو «الاستثناء – عمر».



كانت ليندا تكبرها في السن بعشرة أعوام.. كانت يخيل لها أحيانًا أنها النسخة الأجنبية لصديقتها وأختها عبير..

التي تركتها وودعتها مع ذكرياتها المؤلمة في بقاع كندا.. وبحثت لنفسها عن مهربٍ جديد وعملٍ وحياةٍ عملية خاليةٍ من العواطف في أمريكا.

– لسه نايمة؟!

– نمت متأخر..

– هتكوني جاهزة إمتى أعدي عليكي..

– ربع ساعة وهكون في انتظارك عند بوابة الكامب..

ما إن أغلقت الخط حتى وجدت رسالةً من عمر.. «صباح الخير يا ملكة.. أول ما تفتحي عيونك كلميني.. صاحي من بدري ومش عاوز اتصل أصحيكي.. مستني شمسي تطلع بسماع صوتك.. يسعد صباحك».

بابتسامةٍ حزينة.. أخذت تكتب له: صباح الخير.. أنا...

لم تكمل جملتها حتى وجدته يتصل..

– قاعد مستنيكي من بدري.. أول ما لقيتك بتكتبي عرفت إنك صحيتي.. صباحك حنين..

سمع صوت أنفاس ابتسامتها.. «يسعد صباحك يا رب.. ليه صاحي من بدري كده؟ أنا كنت هكلمك لما أوصل المستشفى».



– أنا تقريبًا ما نمتش.. دعيت ربنا كتير وهترجعي لي بالسلامة.. يقين.. ما تنسيش تخلي تلفونك مع ليندا.. ونبهي عليها ترد عليه على طول.

– حاضر..

– حنين.. عياط لاء.. صوتك المكسور ده لاء.. أنا معاكي.. أنتِ قوية.. أنا مؤمن بيكِ.. هتقومي بالسلامة.. وهتجيلي مصر وهشوفك وألمسك.. عشان بصراحة أنا لسه مش متأكد إنك بشر زينا كده..

– والله إنت اللي مافيش منك.. ربنا يحفظك.. ويخليك لكل حبايبك..

– يبقى ربنا يحفظ لي حنين ويحفظني لحنين..

في طريقها للمستشفى لم يبرح التفكير عقل حنين.. ماذا لو..؟

ماذا لو لم تتم العمليه بنجاح؟ ماذا لو تمت بنجاح؟ ماذا لو لم يكن ما تشعريه تجاه عمر حبًّا؟ ماذا لو كان تعويضًا عن مشاعر افتقدتها منذ زمن؟ ماذا لو كان لا يحبك؟ خلوقٌ هو.. ويشفق عليك..

وعزمت قرارها.. صديقٌ أنت يا عمر ولا أكثر.. إذا لم تنجح العملية انتهت المشكلة.. أما إذا نجحت فأول ما سأفعله بعد أن أتعافى سيكون المصارحة الكبرى.. يجب لكل هذه المشاعر أن تُقمع قبل أن تقعي في فخ الحب والخذلان والخيانة مرة أخرى.

– حنين وصلنا..

جاءها صوت ليندا لينتشلها من أمواج أفكارها المتلاطمة..



وضعت ليندا كفها على كف حنين تربت عليه لتطمئنها.. فقد كانت تظن أن شرودها هذا خوفًا.. وجدت كفها باردة جدًّا.. أخرجت لها من حقيبتها قفازًا ترتديه..

كم أنت حنون يا ليندا.. لم تستطع إلا أن تعبر لها عن امتنانها لوجودها بجوارها ودعمها في هذه الغربة التي كانت بالنسبة لها كبئرٍ لا قرار له..

مسحت ليندا على شعر حنين الطويل المنساب على ظهرها من تحت قبعةٍ صوفية رقيقة..

ترجلتا من السيارة في اتجاه ردهة المستشفى.. لم تقابل وجهًا إلا وابتسمت له وبادلها الابتسام دون تردد.. كانوا يرون فيها وفي عينيها براءة طفلٍ لم يحمل في قلبه مثقال ذرةٍ من شر.. ينظرون إليها ولأناملها الرقيقة وهي تداعب ببراءةٍ خصلات شعرها الطويل.. ولكن أحدًا لم يعرف أنها تفعل ذلك لتُشعر نفسها بالأمان المفتقد..

فقد كانت ليالي غربتها تنافس شعرها طولًا..

ما إن دخلت حنين غرفتها ليبدؤوا تجهيزات ما قبل الجراحه.. حتى أتتها ليندا بهاتفها.. وهي تبتسم ابتسامةً عريضة لطالما جذبتها وأحبتها؛ لأنها تعكس ما في قلبها من حنان وحبٍ لها.. حركت شفاهها دون صوت (عمر)..

نظرت حنين لشاشة الهاتف لتراه يتصل..

عرّفت حنين «عمر» لليندا على أنه صديق مصري منذ زمن.. ولكن بحكم سنها الأكبر وخبرتها.. كانت تلاحظ ليندا طريقة كلامها لعمر عندما يحدثها.. رأت في عينيها ولغة جسدها ما يخبر قلبها بأنه أكثر من ذلك..



– آلو..

– وصلتِ بالسلامة؟

– لسه من دقايق..

– خايفة؟

– شوية.. بس كنت عاوزة أقول لك حاجة..

– أنا اللي عاوز أقولك «هتوحشيني» رغم إني عارف إنك هتخرجي لي بالسلامة بعد حبة صغيرة..

– عاوزة لو رجعت من العملية أبقى أتكلم في موضوع مهم أووي..

– هترجعي لي بالسلامة.. أنتِ ما قدّامكيش إلا إنك ترجعي يا حنين.. أرجوك ما تفكريش في أي احتمال تاني..

– يا رب.. لا إله إلا الله..

– سيدنا محمد رسول الله.. سيبي التليفون مع ليندا واترجّيها ترد عليّ على طول.. أول ما اتصل.. عشان أطمن عليك.. اتفقنا؟

– اتفقنا.. خلي بالك على نفسك.

– حنين اللي بتاخد بالها مني.. عشان كده لازم ترجعلي.. في حفظ الله..

أغلقت حنين الخط وتساقطت من عينيها دمعات لا تعرف أهي من الخوف على نفسها.. أم خوفًا عليه إذا لم تعد..



صعدت إلى السرير الأبيض.. مستسلمةً مسلمةً نفسها لأيدي الأطباء.. كانت تعلم أنهم سيتعاملون بلا رحمةٍ مع جسدها بأدواتٍ جارحات.. لكنها لا تأبه لألمها الجسدي.. فمهما كان هذا الألم شديدًا فهو لا يقارن بألم أحسته على يد من جرحوا قلبها قبلًا بلا مشرط..

أمسكت ليندا بهاتف حنين بين كفيها.. وخطواتها القلقات تحملها ذهابًا وإيابًا على باب حجرة العمليات..

مرت الدقائق ثقيلةً كالجبال على صدر عمر.. لم يستطع أن ينتظر أن تنتهي مدة الجراحه المقررة.. هاتف ليندا.. وما إن تفتح الخط حتى تنقطع المحادثة.. حاول مراتٍ ومرات.. ولكن المكالمات جميعها باءت بالفشل..

أرسل لها.. «هاي ليندا.. أرجوك طمئنيني».

حاولت ليندا الاتصال به ولكن فشلت أيضًا.. لم تكن شبكة الهاتف تعمل في إطار غرف العمليات..

فردت على رسالته أنها ما زالت في الداخل..

صافرةٍ طويلة تصدر من جهاز قياس نبض قلب حنين.. تنذرهم بأن قلبها يُسلم نبضاته.. اختلجت أصوات الأطباء والممرضات في اضطرابٍ وخوف.. محاولين إنقاذها..

رأتهم.. نعم رأتهم جميعًا.. وهي تخطو بخطواتها للوراء.. حبيبها الأول يحمل طفلًا.. يوسف في بدلة عرسه ينتظر عروسه على باب قاعة الأفراح..



عمر.. نعم إنه عمر.. حاولت أن تمد يدها لتمسك بيده الممدودة نحوها.. ولكن ما إن كادت أناملها تلامس كف يده حتى سحبت يدها بخوف لتبتعد عنه.. مثلهم أنت..

ولن أسلمك قلبي أبدًا..

ليندا.. لماذا لا تردي عليّ؟ ماذا حدث؟ لقد مرت ساعة أخرى على الساعة المقرر أن تنتهي بعدها العملية.. اتصال تلو الآخر ورسالة تلو الأخرى.. والنتيجة واحدة.. لا رد..

كانت ليندا حينها تقف مع أحد الأطباء الذي خرج ليخبرها أنها قد دخلت في غيبوبة وأنهم يحاولون جاهدين أن تفيق منها سريعًا..

عادت ليندا أدراجها بخطواتٍ حزيناتٍ ثقيلات.. نظرة لشاشة الهاتف.. ماذا تخبره الآن؟

لم تجد مهربًا من إخباره بالحقيقة..

(صديقتك في غيبوبة)..

غيبوبة.. كاد قلبه أن يتوقف من الصدمة والخوف معًا.. «لا.. مش صحيح.. حنين وعدتني هترجع.. وأنا عارف إنها مش هتسيبني».. أخذ قلبه بدقاته المتقدة في صدره كبركان ينادي عليها بصوتٍ مرتفع..

حنين.. تعالي.. فوقي.. أنا عارف إنك مش هتعملي كده.. ده أنتِ طوق النجاة اللي هينقذني من الغرق والموت.. ده أنتِ اللي بتصبريني على الحياة دي.. ده أنتِ الحاجة الطاهرة الوحيدة اللي عرفتها..



تملكه إحساسٌ قاتل بالعجز.. وتكذيب مجرد فكرة أنها لن تعود له مرةً أخرى.. لم يسمح لهذه الفكرة بأن تلوح في عقله أو خاطره..

جلست ليندا إلى جوارها.. تتفحص ملامحها الجميلة.. كيف لمن هو مثلك أن تنضب منه الحياة؟كانت تراها دائمًا ملهمتها.. فقد كانت تبث الحياة والحيوية والمرح في فريق عملها وبحب.. لم تعاملهم يومًا مستخدمةً سلطتها كقائدٍ لفريق مكون من ١٠ أشخاص.. كانت آخر من تفكر في راحتها.. اذهبي أنتِ للنوم فقد عملتِ لست ساعاتٍ متواصلة.. اذهب أنت لتشاهد مباراة فريقك المفضل في الدوري الإسباني.. ما رأيكم في مفاجأةٍ مبهجةٍ لزميلتنا التي يبدو عليها الإحباط منذ عدة أيام؟ محرك السفينة وقائدها دون أن نشعر..

« ليندا.. أنتِ جنبها؟» كانت هذه كلمات رسالة عمر التي قطعت شرودها..

– نعم.. أنا إلى جوارها.. تبدو طفلة بريئة نائمة..

– الدكاترة قالوا إيه؟ خليهم يعملوا أي حاجة..

لم تعد تعرف بماذا ترد عليه.. فليس بيدها أو بيد الأطباء شيء.. رسائل.. اتصالات.. ساعاتٌ تمر وقلوبٌ تحترق ألمًا وانتظارًا.. ولا جديد..

فاجأها قلبه:

حبيبتي أين أنتِ.. ضائعٌ بدونك.. بل أشبه الأموات.. جسدٌ بلا روح..

ما كل هذا الفراغ الذي خلفتِهِ وراءك.. لا شمس تضيء.. وكيف تفعل وهي التي كانت تستقي نورها من ابتسامتك..

كيف لصباحٍ لا يأتيني بصوتك وضحكتك البريئة أن يكون صباحًا..



و كيف لمساءٍ لا أغفو فيه بين أحضانك أن يكون مساءً..

كيف ليومٍ يأتي دونك أن يُحسب من أيامِ عمري..

سلبتني الحياة حين غبتِ.. عودي.. لتعود معك حياتي بكل أركانها..

كيف أتذوق طعم الحياة في غيابك.. تذوقتها مُكرهًا مُجبرًا لأني ما زلت في عداد الأحياء اسمًا فقط.. وها هي مُرة.. مُرةٌ جدًا..

هل ستتركيني أتجرع مرارة الصبر في انتظارك؟

أنا من أحببتك حد الجنون.. وذقت على يديك الحب بكل الفنون..

يقولون في الحب إما أن تكون أو لا تكون..

و أنا أقول ليس هناك في حبك اختيارٌ..

فأنا دون حُبكِ لا أكون..

كانت حنين هناك تسمع صوت عقارب الساعة لتعلن لها أن ٢٤ ساعة هو الزمن المتبقي.. والذي سيتوقف بعدها كل ما كان فيها يعلن عن حياة..

و لن يعُد باستطاعتك حبيبي رؤيتي أو سماع صوتي مجددًا وللأبد..

حبيبي أتسمعني.. ليس باختيارك أو اختياري..

وحده توقيت العمر أعلن اقتراب النهاية بعده التنازلي..

دعنا من هذا الحزن اللعين الذي يجتاحنا.. ودع عن عينيك الدموع التي تملؤها..



لا تُطل النظر إليّ هكذا.. فأنا أرى الندم يعتصرك على كل لحظةٍ أو كلمةٍ أوجعتني بها يومًا.. أرى لهفتك واستعدادك أن لو يعود الزمان لتمحو كل هذا.. وتبدلني عنه دلالًا ومتعة..

و لكن الذي لا تعرفه أني سامحتك.. حتى قبل أن تخطئ منحتك الصفح والمغفرة.. أأخبرك أمرًا.. دعنا نصنع من هذه الساعات عُمرًا جديدًا سعيدًا.. كما أحببنا وتمنينا دائمًا..

دعني أحتضنك حتى تتشبَّع مسامي بعطرك وأذوب في دفئك.. دع رأسي يوسِّد كتفك وأغفو.. ولا توقظني.. فقد كان هذا حلمًا لطالما اشتقت أن يتحقق.. وها هو يتحقق..

دعنا نذهب للحديقة ذات الأرجوحة الوردية.. فلطالما وددت أن تشاركني اللعب والركض والتأرجح هناك..

دعني أرتدي لك فستان الأميرات الذي ادَّخرته عمرًا.. لأرى نظرة عينيك تفحص جمالي وتطلب مني أن أشاركك رقصةً هادئة..

دعني أراك وأسمعك تضحك بملء صدرك ونحن نشاهد مسرحيةً أو فيلمًا وأنت تتوسد أحضاني..

دعني أرى ملامحك في ملامح صغيرنا الذي امتلأ به بطني شهورًا لتجعلني أمًا للمرة الثانية بعد أن كنتها الأولى لك أنت..

دعني أمرر كفي على ملامحك لتحفظها خلاياي التي سيأخذها العالم الآخر قريبًا.. فأنا أريدك أن تظل محفورًا كسرٍّ مخبأ داخلها.. حتى لا يأخذك النسيان مني حيث العدم..

وأخيرًا حبيبي.. لا زال أمامنا عُمرٌ جديد.. في العالم الآخر أريد أن أعيشه معك.. بعد أن نتطهر من دنس الذنوب..

استيقظ عمر فزعًا.. وهرع إلى هاتفه ليطمئن عليها.. «ليندا.. أرجوك حادثيني».. «يا رب بحبها.. يا رب عاوزها.. يا رب أنا بطلبها منك.. يا رب».

عمر.. نطقت حنين باسمه بلسانٍ مثقل وأنفاسٍ تلتقطها بصعوبة..

قفزت ليندا.. تمسك يدها وهي غير مصدقة أنها تسمع صوتها وترى عينيها تتفتحان ببطء وتدوران وكأنها تبحث عن شيءٍ ما..

كررت اسمه.. عمر.. عمر..





(٤)

ربتت على كفها بهدوء لتهدئها.. وقد أدركت أنها تبحث عنه.. «لا تقلقي حادثته بالهاتف وطمأنته».

أخذت تهذي بكلماتٍ بالعربية لم تفهمها ليندا..

ولكنها استشعرت أنها تخصه.. لأنها كانت تشير إلى الهاتف.. استجمعت حنين قوى لسانها وقالت بالإنجليزية: أريد أن أتحدث إلى عمر..

ربتت على كتفها.. ثم أخبرتها أنها ستفعل ولكن بعد أن يأتي الأطباء وتطمئن على استقرار حالتها..

ثم خطت مسرعةً رسالةً إلى عمر.. «أفاقت حنين.. يمكنك محادثتها بعد قليل».

كانت هذه الرسالة بمثابة عودة الروح لجسدٍ ميت.. حكم البراءة لمن حكم عليه بالإعدام.. قطرة الغيث التي سقطت في فم تائهٍ عَطشٍ في صحراء مشى لأيامٍ تحت شمسٍ مُحرقة..

– اتكلمت يا ليندا؟ شوفتيها وسمعتيها بنفسك؟ الدكاترة قالوا إيه؟



- رددت اسمك كثيرًا وكانت تبحث عنك..

- شكرًا ليك جدًّا.. أرجوك عاوز أكلمها أرجوك..

طمأن الأطباء ليندا على استقرار حالتها، ولكنها ستظل تحت الملاحظة لمدة يومين آخرين للتأكد أن كل شيء يسير على ما يرام..

أمسكت حنين هاتفها بيدٍ تعاني الضعف من إبرةٍ ثبتوها في كفها.. وما أن رأت عدد مرات اتصاله وكم الرسائل التي كان يتوسل فيها لليندا أن تطمئنه.. حتى بدأت دموعها تتسابق على خدها..

رن هاتفه.. جزءٌ بسيط من الجرس.. وانفتح الخط..

- عمر..

- حبيبتي.. الحمد لله على سلامتك.. الحمد لله يا رب.. وحشتيني يا حنين.. أووي.. عشان خاطري ما تتكلميش كتير أنا جنبك أهو.. أهم حاجة إنك بخير.. اهدي وارتاحي وأنا معاكي مش هفارقك لحظة..

كان عقلها يعمل بسرعةٍ في تجميع الأفكار والجمل، ولكنها لم تستطع أن تتكلم بسرعةٍ لهذا الكم الهائل من الكلمات التي تريد أن تنطق بها.. وكأنما أدرك ذلك هو.. فبادرها قائلًا:

- إيه الصوت ده؟ الله.. ده صوت الصغنون اللي أنا بعشقه.. سيبني اسمعه.. وغمضي عيونك وارتاحي.. هنتكلم كتير بس لما تكوني قادرة وكل حاجة تتظبط..

كان يتحدث عن صوت قلبها الموصول بأجهزتهم الإلكترونية.. كان يسمعه بمتعةٍ حقيقية، متعة لا تضاهيها متعة ذاقها في حياته.. وكيف لا وهو الوحيد القادر أن يثبت بصوته الذي يتردد صداه أنها على قيد الحياة..



لم يبرح «عمر» حنين خلال الثمانية والأربعين ساعة ولو لدقائق.. لم يعد الهاتف يفارق يديه.. وكأنما أصبح جزءًا من كفه.. ما بين رسائل إلى محادثات حتى أنه كان يترك خطه مفتوحًا الليل بأكمله حتى لو لم تنطق بكلمةٍ واحدة.. يكفيه أنه يسمع صوت قلبها وأنفاسها.. فيطمئن..

– بجد يا حنين.. ممكن تروحي البيت خلاص.. هما قالولك كده؟ طيب اسمعي كلامهم.. شوفي إيه اللي مفروض نعمله عشان نخف بسرعة.. أنا عاوزك يا حنين.. عاوزك..

جاءت ليندا تساعدها في ارتداء ملابسها استعدادًا لمغادرة المشفى.. وتوجها الى استقلال السيارة التي ستقلهما إلى منزل حنين..

ركبت إلى جوارها وجعلتها تسند رأسها على كتفها بحنان.. جاء صوت هاتف حنين منبئًا عن وصول رسالة..

– هل هو عمر؟

هزت حنين رأسها بالإيجاب.. ابتسمت ليندا في مكر..

«أعتقد أنكما أكثر من صديقين.. لدي أصدقاء كُثر ومررت بعملية جراحية من قبل.. ولكن لم يفعل أحدهم معي كما يفعل معك عمر! وأنت أيضًا.. كررت اسمه كثيرًا.. ولم تذكري اسم أحد غيره.. هل يمكن أن أرى صورته؟»

ابتسمت حنين في إرهاق.. حقًا تذكرها بعبير.. فتحت الرساله لتجده وقد كتب لها: «نورتي الدنيا كلها يا ملكة.. الحمد لله على سلامتك.. طمنيني أول ما توصلي البيت.. الحمد لله على سلامتك».



كانت تحتفظ بصورةٍ له بعثها لها في بداية تعارفهما..

– هذا هو عمر..

– إمم.. ولكنك أجمل منه بكثير.. وضحكت.. بخفةٍ ورقة.. ضربتها حنين ممازحةً إياها على كفها.. لتصمت..

عادت حنين لمنزلها.. لتباشر حياتها الطبيعية وعملها بالتدريج.. وبدأت أيضًا في تنفيذ ما انتوته قبل أن تدخل المستشفى..

كانت حنين مصابةً بـ»رهاب الحب».. تخاف الحب.. بل إنها أصبحت تتعمد الابتعاد.. ترى اتصالاته ورسائله المتكررة ولا تجيبه..

أصبحت تخاف منه وعليه.. تخاف منه لأنه رجلٌ مثلهم.. فما الذي يمكن أن يجعلها تأمن غدره أو أن تأتمنه على قلبها؟ ما الذي سيميز تجربةً عن أخرى إذا كنت أنت طرفًا ثابتًا في القصة.. وهو رجل كسائر الرجال؟

تخاف عليه منها.. اقتربت فتعلقت فأحببت يا عمر.. ثم ماذا؟!

بل ثم ماذا يا حنين؟! لن يتزوج رجل بامرأةٍ يعلم مسبقًا أنها لن تنجب له أطفالًا.. وأثبت لك هذا رجلٌ وآخر.. الحب ليس كل شيء عزيزتي..

قرارها كان واضحًا.. لن أضع نفسي وقلبي تحت إمرة وسلطة رجل مرة أخرى..

والقرار أوله وآخره في يدي أنا.. وسأستطيع كما استطعت سابقًا.. أما بالنسبة لضميري الذي يوبخني بشأنه.. سيعتاد.. كلهم كذلك.. مسألة وقت لا أكثر..

بدأ عمر يشعر بما تحاول فعله.. ولكنه كان أكثر منها جراءة.. فبادرها هو..

– حنين.. ازيك؟



– الحمد لله تمام.. أنت إيه أخبارك وشغلك؟

– كله زي الفل الحمد لله.. ما قُلتليش.. أنتِ نازلة مصر إمتى؟ إجازتك قربت صح؟

صمتت للحظات.. ثم أتاه ردها الذي توقعه واستعد له..

– لا أنا احتمال ما انزلش..

– مالك يا حنين متغيرة ليه كدا؟!

– لا خالص.. الشغل واخد أغلب وقتي وتفكيري بس..

– يوم العملية أنتِ قلتِ لي عاوزة أتكلم معاك.. وأنا قلت لك لما ترجعيلي بالسلامة.. أنا منتظرك تتكلمي.. عاوز أسمعك يا حنين.. قولي إيه اللي بيدور جوه عقلك.. قولي اللي حاسه قلبك..

– عمر.. أنا حاسة إني اتسرعت في تقييم علاقتنا..

– بمعنى..

– يعني أنا شيفاك أخ.. صديق.. لكن مش أكثر من كده..

– امم.. جميل جدًا وهو ممكن الأخ والصديق يعرف صديقته وأخته مالها؟ إيه اللي تاعبها؟ إيه اللي شاغلها؟

– لما أحس إني عاوزة أتكلم هتكلم يا عمر..

– حنين.. أنا قابل أكون جنبك بأي صفة.. لكن ما تبعديش نفسك مني ولا تبعديني عنك.. ممكن؟

–.....



- ممكن يا حنين؟

- عمر.. أنت ليه مصمم تفضل جنبي ومعايا بالإصرار ده؟ أنا في حاجات كتير في حياتي وشخصيتي صعب أي حد يتحملها..

- عشان برغم كل اللي أنتِ بتقوليه ده.. اللي زيك ما بتتلاقاش في العمر غير مرة واحدة يا حنين..

- ....

- مش عاوز أضغط عليكي ولا تحسي إني بتحدى إرادتك بوجودي في حياتك.. بس زي ما طلبت منك.. سيبيني بس جنبك.. وقت ما هتحتاجيني أو مش محتاجاني هتلاقيني جنبك..

- أنت قلبك طيب وجدع أووي..

- ما اجيش حاجة فيكي يا ست البنات.. ها.. ما قولتيش بقى هتنزلي لي مصر إمتى؟

- ههههههه.. أنت ما بتيأسش؟!

- لزقة ألماني.. حضرتك تقدري تقولي كده..

- هنزل على عيد ميلادك..

- قولي وربنا؟!

- وربنا.. أخدت قرار حالًا أهو وأنا بكلمك..

- الله.. يعني فاضل أقل من أسبوعين وأشوفك.. ده في حد ذاته عيد ميلاد للعيد ميلاد نفسه..



توردت وجنتيها بابتسامةٍ.. لم تزرها منذ فترة.. وبدأت تتنفس بشكلٍ أكثر راحة.. ويدق قلبها بإحساسٍ ممتع رغم تعبه..

مِن مَن هذه الباقة من الورود؟! سألت حنين باندهاش الشخص الذي جاء مكتبها في الصباح ليسلمها لها.. أجاب بأن المرسل لم يذكر اسمه.. بل طلب إيصالها لها بالاسم وفقط..

شردت للحظات وهي تنظر للورد ثم رفعت كتفيها ولوت شفتيها بتعجب!

ما إن خرجت من مكتبها حتى وجدته واقفًا أمامها.. أصابها دوار خفيف للحظة.. ثم نطقت باسمه «يوسف».. أنت إيه اللي جابك هنا؟! عرفت مكاني إزاي؟

مد يده ليمسك بذراعها.. فأبعدت نفسها عنه بسرعة وأفلتت ذراعها من بين قبضة أصابعه.. وبصوت متهدج

لا يخلو من الحدة: «لو سمحت ما تلمسنيش»..

– حنين.. أنا لسه بحبك.. مش عارف أحب غيرك.. مش عارف..

– يوسف.. لو سمحت أنا في مكان شغلي.. مش عاوزة حد ياخد باله من أي حاجة.. أرجوك احترم ده..

– بتخلصي شغلك إمتى؟ هستناكي في المكان اللي تحدديه..

– يوسف.. أنت عاوز مني إيه؟ أرجوك كفاية كده..

– عاوز أتكلم معاكي.. إديني فرصة يا حنين.. طول عمرك قلبك كبير..



– لا يا يوسف.. طول عمري قلبي تعبان.. وأظن أنت أكتر حد عارف ده كويس وتعب معاك وبسببك أكتر..

– ممكن تهدي.. واديني فرصة بس نتكلم.. أرجوك..

ولأول مرة يرى يوسف عيني حنين تقف في عينيه بتحدٍّ غريب.. خُيل له أنه لا يعرفها للحظة..

اقترب ليلمسها مجددًا.. فابتعدت عنه بخوف..

– أنتِ خايفة مني يا حنين؟ أنا يوسف.. يوسف يا حنين!

– من فضلك امشي.. امشي..

كانت تحاول ألا يلاحظ صوتها المهتز وعينيها الملبده بالدموع.. هيهات يا يوسف.. فلن ترى دمعي وضعفي مجددًا أبدًا..

– حاضر.. أنا ماشي.. شكرًا لذوقك يا حنين.

غادر مكتبها.. عادت لتلقي بجسدها على الكرسي..

و هي تنظر حولها.. هل اختفى فعلًا؟ أجابها عقلها: نعم هو غير موجود.. وتلاه قلبها أيضًا يخاطبها: حنين لقد اختفى من هنا أيضًا.. هو غير موجود بداخلي.. نبضاتي المرتفعة هذه من الخوف والذكريات المؤلمة لا أكثر.. لم أعد أحبه..

هزت رأسها بالإيجاب وكأنها تؤمن على كلمات قلبها.. «نعم.. لا أحبه.. لم أعد أحبه».

هدأت من روعها وهي تحاول أن تملأ رئتيها بالهواء وتزفره ببطء.. واضعةً يدها على قلبها تطمئنه.. صغيري اطمئن أنت في أمان.. لا حُب سيؤذيك مجددًا.



أنهت عملها محاولةً تناسي ما يمر في ذاكرتها من ذكريات مؤلمة أيقظتها رؤية يوسف..

وهي تغلق جهاز الحاسوب الخاص بها.. تذكرت عمر.. وتذكرت هذا اليوم الذي خرج لها من هذا الجهاز كمارد المصباح السحري.. تذكرت صوته في أول مكالمة.. تذكرت الخجل الذي اعتراها من كلمات المدح التي سمعتها منه.. وجدت نفسها تبتسم.. وسمعت همسًا خجولًا يأتيها من ناحية قلبها.. لقد اشتقته.. وأنتِ؟

نظرت في هاتفها لتراه وقد اتصل بها أكثر من ٢٠ مرة.. ورسالةً.. «وحشتيني أووي.. مقدر إن شغلك كتير.. بس اشتقت لسماع صوتك».

ابتسمت وهي تضع هاتفها في الحقيبه وارتدتها.. وأخذت الخطوات تقودها الى الشارع.. لتقع عيناها على يوسف جالسًا أمامها على السور المقابل لشركتها..

وما إن رآها حتى توجه نحوها.. أكملت خطواتها بسرعة كي تبتعد عنه قدر الإمكان.. ولكنه التقط ذراعها بعنفٍ هذه المرة كصياد التقط عصفورًا بين يديه..

حاولت أن تفلت ذراعها من بين أصابعه ولكنها لم تقوَ على ذلك..

– نظر لها بتحدٍّ.. هتفضلي تهربي مني كتير؟

بادلته نفس النظرة وهي تشير إلى يده الملتفة حول ذراعها..

– شيل إيدك عني يا يوسف.. لآخر مرة بحذرك تلمسني تاني كده..

بدأت ملامحها يبدو عليها الألم وقد ازدادت أصابعه انغماسًا في ذراعها..

ما إن رأى الألم يعتصر ملامحها البريئة أمام عينيه.. حتى أفلتها.. تاركًا إياها.. يعتصر الألم ذراعها وقلبها..



سارت في الطريق إلى منزلها تسبق دمعاتها خطواتها..

لماذا لم تموتي يا حنين.. ألم يأن لهذا القلب أن يرتاح.. ستريحينهم أيضًا من هذه الحيرة..

درجات سلم.. باب ومفاتيح.. غرفتها.. استلقت على سريرها تحملق في سقف الغرفة.. لم تحب يومًا الجدران أو الأسقف.. كانت روحها حرةً للدرجة التي كانت موقنةً أن يوم تخرج روحها من جسدها هو يوم عيد مولدها وليس العكس.. كانت ترى أن روحها الحرة حبيسة جسدها وكانت تشفق عليها كثيرًا.. لذلك كانت تحب أن تهب كل من حولها حريتهم وكأنها تهب لهم أغلى الهدايا وما الحريه سوى الحياة.. وهل أغلى من أن تهب أحدهم حياة..

هاتفها يعلن اتصالًا يتعالى صوته.. خلعت معطفها وقفازها وكوفيتها.. فالتخلص منها بالنسبة لها هو نوع من أنواع الحرية أيضًا..

اقتربت من الهاتف لتراه «عمر» المتصل..

شعرت بالخوف عندما وجدت دقات قلبها تزداد بمجرد ان رأت اسمه على الشاشة.. «حنين.. ردي.. وحشني».

– ششش خالص أنت ما بتحرّمش.. ده أنا لسه دموعي ما نشفتش.. عاوز تورطنا تاني في حب وعذاب؟

دار الحوار سجالًا بينها وبين قلبها.. لتكون الغلبة في آخر الأمر.. لأصابع يديها وهي تخط له رسالة:

عمر أنا آسفة مش قادرة أتكلم.. متضايقة شوية.. عاوزة أكون لوحدي..



وما هي إلا ثوانٍ حتى استلمت رسالته:

= أتصل بيكي نُسكُت معَ بعض..

ووجدته يتصل.. وأتاه صوته يمازحها..

– هتروحي مني فين؟!

شعرت بأنفاسها تختنق.. بين جلتي..

«هتروحي مني فين؟!» لعمر، و«هتهربي مني كثير؟!» ليوسف..

وكأن صوت الحرية هو من تحدث بكلماتها:

– عمر.. ممكن أقولك على حاجة وأطلب منك طلب؟

– طبعًا اتفضلي.. بس إهدي أنت نفسك عالي يا حنين ومشدودة..

خرجت كلماتها المختنقه في حنجرتها.. بدموع حارة تكوي وجنتيها..

– عمر أنا إنسانة معقدة.. أنا خايفة عليك مني.. ممكن تبعد عني؟

– بموتي..

– ....!

– أيوه زي ما سمعتي يا حنين.. بموتي أبعد عنك.. مش هبعد.. ولو بعدتِ هجيلك.. ولو قلتِ لي أكتر من اللي أنتِ بتقوليه ده مليون مرة.. مش هبعد ومش هسيبك.. إيأسي من الفكرة دي.. مش هيحصل..

سمع صوت أنين بكائها وهي تحاول أن لا تظهر حدة الألم الذي ودت لو انفجرت به في وجه العالم..



- ممكن تهدي.. بربك يا حنين مش عاوزك تتعبي تاني.. اسمعيني.. مش أنتِ في مرة قلتِ لي أوقات بحسك أبويا ومرات تانية أخويا وفي مواقف صديقي.. تعالي نلعب لعبة حلوة.. أنتِ هتيجي دلوقت حضن باباكي.. تسندي راسك على صدره تطمني جواه.. بعدين لما تهدى تحكي لصديقك إيه اللي مضايقك.. خدي رأيي ثقي فيه كصديق مخلص هينصحك دون تحيز ليكِ أو عليكِ.. إيه رأيك؟ اتفقنا؟

جاءته أنفاسها المتقطعات.. «ماشي»..

- تعالي.. أنتِ قاعدة فين؟ أنتِ قاعدة على الأرض وضامة رجلك ناحية بطنك كده.. عاملة فيها ست القوقعة صح..

كيف يراها؟ في كل مرة يصدق فيها وصفه للحال التي تكون عليها.. وكأنه يراها رؤيا العين..

- ممكن نجيب ميه نشرب الأول.. بعدين نغسل وشنا.. وتيجي حضن بابا نتكلم..

- حاضر..

- خديني معاكي ما تسبنيش لوحدي بخاف..

كان عمر يعاملها كطفلته الوحيده المدللة.. كان هذا الحدس الأول الذي استشعره معها.. أنها مسؤولة منه ومسؤولٌ عنها..

عادت حنين.. لتسند رأسها المثقل على يد أريكتها وتختبئ داخلها.. وكأنها تختبئ داخله وتتوسد صدره..

كان يستشعر تفاصيلها تحت كفيه.. شعرها ووجنتيها الناعمتين.. دمعاتها.. حتى أنفاسها عندما تكون هادئةً او منفعلةً أو مريضة.. كان يرى انغلاق جفنيها من كثرة البكاء..

- ينفع عينينا بقت شبه اليابنيين كده؟ ينفع؟

سمع صوت أنفاسها وهي تبتسم في وهن..

- ها يا ست البنات.. احكيلي.. عاوز أسمعك..





(٥)

قصت له حنين بأنفاسها المتهدجات.. بدايةً من أول قصة حبٍ مرت بها وهي ذات الثامنة عشر عامًا.. والتي انتهت بمعرفتها أن حبيبها تزوج بأخرى، ليس فقط بل إنها تحمل طفله في شهوره الأولى..

روت لها ما مرت به من انهيارٍ عصبي وفقدانها النطق لشهور حتى تعافت جسديًا ولكنها لم تعد تتقبل أي محاولة من الجنس الآخر للتقرب والتودد إليها..

ثم أكملت.. أنها وبعد عدت أعوام ليست بالطويلة سافرت إلى كندا لتلتقي هناك بـ»يوسف».. الذي اعتبرته ملاكها الذي انتشلها من غيابة الخيانة والغدر.. إلى نور الحب من جديد.. أحبته بكل كيانها..كانت على استعداد أن تتحمل لأجله ما لا يستطيع هو تحمله عن نفسه.. وكيف لا وهو من أقنعها وبث فيها الجراة على أن تخطو بقدميها الضعيفتين حتى اشتدتا لتبحر في الحب من جديد..

بح صوتها مجددًا وهي تقول: يوسف كمان طلع كداب.. واللي اكتشفته مع الوقت إنه ما حبنيش زي ما أنا كنت بحبه.. عمر أنا لما بحب.. بحب الشخص على بعضه زي ما هو.. بحب عيوبه.. بحب نفسه.. طريقة كلامه.. صوته وهو صاحي من النوم.. بحبه على أي حال وفي كل الأحوال..



- بذمتك هو في كده في الدنيا؟ يا بنتي أقسم بالله أغبيا.. بس والله مبسوط بيهم أووي.. يا سلاااام.. كملي أنا سامعك..

- يوسف كان عنده صديقة كندية.. عرفت برضه بالصدفة بعد شهور إنها حامل منه.. وزارتني وطلبت مني أبعد عنه عشان من وقت ما ظهرت في حياته وهو رفض فكرة الجواز منها.. حاول يبرر الموقف.. بس للأسف في حاجز ثقة لو اتكسر بين أي اتنين بيحبوا بعض صعب إنه يتصلح تاني.. زود على ده إني حسيت يوسف مش عارف ياخد قراره في دخول علاقتنا للإطار الرسمي.. خصوصًا إن هو طبيب قلب وكان عارف حالتي.. فبعدت واختفيت فترة من حياته وسافرت مصر ودورت على شغل تاني بره.. لحد ما لقيت الوظيفة اللي أنا فيها دلوقت.. ضميري كان بيأنبني لما كنت بفكر فيه وفي كل المواقف الجميلة اللي جمعتنا.. وخصوصًا إنه بقى صديق مقرب لزوج صديقتي المغربية في كندا.. واللي كانت كل فترة تقولي إنه بيسأل عني كتير.. وطلب إنهم يتوسطوا بينا.. بعد ما صديقته الكندية ورطته في قضية واتحكم فيها ببراءته وإنها ما كانتش حامل ده كان كذب منها عشان ترجعه ليها.. وبعد عنها نهائيًا.. قبل ما آجي على أمريكا عشان استلم وظيفتي.. سافرت كندا أزور «عبير» صديقتي وأهنيها بأول مولودة لها.. الفترة دي كان قلبي فيها تعبه زاد جدًا.. بسبب إني في مصر كل حاجة في بيتنا كانت بتذكرني بوالدي الله يرحمه.. وإزاي أنا ما كنتش موجودة معاه في فترة مرضه الأخير ووفاته..

طيب أزور يوسف ولا لاء.. فضلت مترددة لحد ما في يوم تعبت تعب جامد.. حرارتي ارتفعت في جدًا.. حسيت إني بموت حرفيًا.. ما حستش غير وأنا بلبس وبروحله..



اليوم ده كان مطر بشكل رهيب.. آخر حاجة فكراها إني بعد ما خبطت على بابه وأول ما شوفته.. ابتسمت.. بعدها الدنيا ضلمت.. فوقت في المستشفى اللي هو كان بيشتغل فيها.. بعد ما اتحسنت.. وفي اليوم اللي قلت له إني مسافرة لأمريكا.. طلب مني نتقابل.. وفاجئني باعتراف إن في خطة ارتباط قريبة بينت عشان عاوز يكون أسرة وأولاد.. رسالته وضحت لي.. وبرغم كل الكلام الجميل اللي قاله لي.. إلا إني اتوجعت من نفسي أووي إني عملت فيها كده.. وإني روحتله عشان يطعنِّي الطعنة الثانية وجهًا لوجه.. بعد طعنته الأولى اللي جت لي غدر من ضهري ع إيد صديقته القديمة..

دعيت له ربنا يسعده ويرزقه أطفال جميلة زيه وزي مامتهم اللي أنا متأكدة إنها جميلة عشان هو اختارها تكون زوجته..

سافرت.. كل فترة كان ممكن يوصلني منه إيميل أو رسالة على موبايلي يطمئن عليَّ أو حتى اتصال في عيد ميلادي أو راس السنة يهنيني.. في البداية.. قلت لنفسي خلينا أصدقاء.. طالما العلاقة في حدودها الطبيعية.. لكن بعد فترة فوجئت بيه بيعترف لي إنه لسه بيحبني ومش قادر يكمل في حياته مع إنسانة مش بتحس بيه ولا هو حاسس بيها.. حياة جافة من المشاعر.. وقال لي جملة عمري ما أنساها:

«اللي يحبك وتحبيه يا حنين.. ما ينفعش يحب ولا يتحب من غيرك مهما كانت هي مين».

حالة من الصدمة.. يوسف أنت رجل متزوج.. وأنا استحالة هقبل أكون في علاقة بالشكل ده..



بعدت.. وقطعت أي وسيلة ممكن يقدر يوصلي من خلالها سواء تليفون أو إيميل أو أي شيء تاني.. حتى اسمي اللي أنا كنت بكتب بيه مقالاتي غيرته وسميت نفسي «زهرة».

– امم.. كده فهمت.. جبل يا حنين أنتِ أقسم بالله..

أكملت: لحد بقى النهارده.. فوجئت.. بباقة ورد كبيرة حد بعتها لي على المكتب من غير اسم المرسل..

خرجت من مكتبي.. لقيته هو يا عمر..

– يوسف؟!

– آه.. يوسف..

– عرف يوصلك..

بدأت تبكي مجددًا..

– حسيت إني ضعيفة قدامه يا عمر..

بصوتٍ مليءٍ بالغيرة سألها:

– لسه بتحبيه؟

– لاء.. بيصعب عليَّ يا عمر..

وضح في صوته نبرة الغضب وهو يقول: يعني إيه بيصعب علبكِ يا حنين.. بعد كل اللي عمله فيكِ ده وتقولي لي بيصعب عليَّ؟ ليه بتعملي في نفسك كده؟



– عارفة إني غلط.. بس قلبي ما بيعرفش يقسى.. ما بقدرش أنسى الخير اللي ممكن حد يقدمه لي بالبساطة دي..

– ما تنرفزنيش يا حنين أرجوكِ.. ماحدش قالك إنسي الخير اللي عمله لك.. بس في نفس الوقت ما تنسيش الوجع والألم اللي سببه لك.. وهو عارف كويس دي حاجة قد إيه ممكن تأثر عليكِ.. وبعدين كملي..

– طيب ما تتعصبش عشان خاطري.. خلاص أكملك بعدين..

– هتكملي دلوقت عشان أنا لسه عندي كلام لازم أقوله لك..

شعرت وكأنه والدها فعلًا.. وأن ابنته هي من أخطأت في حق نفسها تحت سكرة وهم حب ليس بحب.. خُدعت.. ويجب أن تُفيق..

أكملت بصوتٍ مرتعش.. وروت له ما قاله وما قالته.. حتى وصلت الى اللحظة الّتي أمسك فيها ذراعها.. فاستوقفها قائلًا: بيمسكك بصفته إيه؟

– ما اهو أنا...

– لاء ما اهو أنتِ لازم تفوقي بقى.. أنا سمعتك زي باباكي.. صح؟ وكنت واعدك إني هنصحك زي صديق.. بس لاء بعد اللي أنا سمعته ده.. أنا هرد عليكي وأنا باباكي وأخوكي وصديقك.. بأي صوره من الصور لازم توقفي المهزلة دي.. أنتِ مش لعبة في إيده يا حنين.. كل ما يشتاقلها يمد إيده على الرف يلعب بيها شوية ويرجعها مكانها لحد ما يشتاق تاني.. هو فاكر إنك كل ده لسه مستنياه.. هيروح مكان ما يروح ويلف ويجرب ويتجوز ويخلف.. وحنين لعبتي الجميلة الرقيقة موجودة.. هو اعتبرك ملكه.. واللي أعرفه إن بنتي حرة وما تقبلش تبقى ملك حد..



أختي ملكة.. تقعد في أي مكان وتحط رجل على رجل وتختار اللي يعرف قيمتها.. صاحبتي بنت بلد جدعة ماحدش يمد إيده عليها ويلمسها ولو حصل هتوقفه عند حده ولو ما قدرتش.. تقدري تخوفيه عشان ما يكررهاش.. اندهي لأي حد في الشارع قوليله الشخص ده بيضايقني..

كلامي صح ولا أنا غلطان يا حنين.. أنا مش بقسى عليكِ أنا خايف عليكِ.. ما تخليش حد يستغل براءتك وطهرك وطيبة قلبك..

– أنا مش بحبه خلاص والله.. بس مش بكرهه.. ما بعرفش أكره حد يا عمر..

– هو واصلاله إنك لسه بتحبيه عشان خايفة على مشاعره ومش عاوزة تئذيه.. هو شايف كده من ضعفك قدامه..

حنين.. أرجوكِ فوقي.. اللي أنتِ فيه ده مش صح.. اخرجي من الدوامة اللي هتغرقك وهتضيعي فيها عمرك على ناس ما تستاهلكيش..

– حاضر.. بس عشان خاطري ما تزعلش مني..

– أنا زعلان عليكِ..

– طيب أنت ليه اتعصبت كده واتشديت..

أراد أن يقول «عشان بحبك يا حنين» ولكنه قال:

– مش عارف.. هروح أشرب سيجارة وأرجع لك.. قومي كلي حاجة أو اشربي عصير... أنتِ شكلك من الصبح تايهة عن نفسك..

– فعلًا ما أكلتش من الصبح.

– برافو.. فرحتيني.



- خلاص يا عمر بقى.. بربنا ما تزعل.. هقوم أهو خلاص.

- ماشي.. وأنا شوية وهطمن عليكي تاني.. مع السلامة.

وقف عمر في نافذة غرفته ينفث دخان سيجارته بغضب.. وكأن دخانها هو دخانٌ يندفع من فوهة بركان..

كان عمر هو الابن الأصغر.. لأمٍ طيبةٍ.. قضت شبابها لتربيته هو وأخيه الذي يكبره بعام واحد فقط «أحمد».. بعد وفاة والدهما وهما لا يزالان طفلين في التاسعة والثامنة من العمر..

كانت تلحظه.. كيف لا وهي أمه التي تحفظ وليدها عن ظهر قلب.. ابنها متيم بفتاةٍ ما.. ولكن يا ترى من هي؟

هل هي التي سمعته يبكي ويتوسل لله أن يحفظها منذ أيام؟

التفت عمر لصوت هاتفه الذي تركه على سريره.. ليرى اسم حنين قلبه وعصفورته الرقيقة..

- عمر.. بعتلي رسالة دلوقت.. بيعتذر عن اللي عمله النهارده.. وعاوز يقابلني عشان نتكلم..

- نتكلم؟!

- أقصد يتكلم يعني..

تملكه الغيظ وأخذ يشد بفكيه على بعضهما..

- عاوزة تقابليه؟



– آه.. بس قبل ما تتعصب.. عارف ليه؟

– ليه؟

– عشان أنهي الموضوع زي ما أنت قلت لي.. مش عاوزة أكون ضعيفة وكأني بهرب من مواجهته..

– تمام.. لو أنتِ شايفة إنك هتقدري توصلي له ده بوضوح.. ماشي..

– خلاص هقوله نتقابل بكرة بعد الشغل..

– هتحكي لي إيه اللي دار بينكم؟

– طبعًا.. عمر..

– نعم.

– أنا فرحانة أووي إن أنت في حياتي..

صمت للحظة ثم قال:

– عارفة أنتِ إزاي في حياتي؟

ابتسمت وهي ترفع كتفيها في دلال.. دلالةً منها على عدم معرفتها.. ثم قالت: إزاي؟

– أنتِ لون زاهي في فيلم حياتي الأبيض وأسود.. أنتِ النعمة اللي بغمض عيني في نهاية كل يوم.. واطلب من ربنا ما افقدهاش أبدًا..

أتاه صوتها بحنان قائلة: ربنا يديمك عليَّ نعمة..

– ويديمك أحلى وأغلى وأرق وأحن نعمة..



- خلي بالك على نفسك..

- حنين بتاخد بالها مني.. مش بنوتي وأختي..

- صح.. مع السلامة..

أغلقا الخط.. وأخذت تخط الكلمات ليوسف في رسالة:

«تمام يا يوسف.. أنا هخلص الشغل بكرة الساعة ٥.. ممكن نتقابل في أي كافيه قريب من الشغل».

لم يعرف يوسف إذا ما كان فرحًا بدعوتها.. أم خائفًا بعد أن رأى ولمس فيها بعض التغيرات.. وردود أفعالها التي ماكانت تصدر منها تجاهه من قبل..

استسلم ثلاثتهم للنوم.. ولكن الأحلام أخذت كل واحدٍ منهم لمدينةٍ مختلفة.. أخذت حنين حيث ها هو يوسف..

= ممكن أعرف أنتَ عاوزني جنبك ليه؟! أنا ما بقيتش فهماك!

أدارت وجهها منصرفةً عنه بدمعٍ حبيس بين أجفانها..

وما إن أبعدتها خطواتها عنه.. حتى وجدته يركض خلفها ممسكًا بذراعها يستوقفها ناظرًا في عينيها وبأنفاسٍ متسارعةٍ.. قال:

أرجوكِ ما تبعديش عني.. أنا قوي القلب..

ضعيف بلمسة منك..

وها هو يوسف يراها.. وهي في أحضانه في هذا اليوم الأخير الذي جاءته فيه..



حين سكنت الحمى جسدها الضعيف.. وأخذت تنتفض بين ذراعيه كعصفورٍ جريح.. كان يدثرها بغطاءٍ ويضمها إلى صدره مطمئنًا إياها ومطمئنًا قلبه بعودتها إليه..

نظرت له بعينيها الذابلتين من المرض.. وابتسمت ابتسامتها المكسوره.. وبدأت بالهذيان..

أين أمي.. إخوتي.. أبي أين أنت؟! أحتاجكم..

نظرت في عينيه ثم قالت: ماحدش بيرد عليه.. أنا ماليش غيرك..

أخذ رأسها ليسكنها على صدره.. شعرت بذراعيه تضمانها بقوة.. أصبحت عيناهما متشابهتين.. مكسورتين ومملوءتين بالدموع..

فرت دمعتها أولًا وهي تسدل جفنيها بعد أن استبد بها التعب.. تلتها دمعاته التي أبت أن تنزل أمامها.. هامسًا لها: وأنا كمان ماليش غيرك..

كانت حنين هي جزيرتهما التي تلاقيا عليها..

فها هو عمر يرى حنين.. وبصوتٍ ملؤه الأحلام والأمنيات المتجسدة حقيقةً وليس حلمًا في قلبه.. سألها وهو ينظر في عينيها بشغفٍ يلتمع شوقًا لمستقبلٍ يتوق أن يعيشه معها:

– عارفة نفسي في إيه؟

لم تُجبه.. فقد بدأت تراقب ملامحه التي شردت وهو يُكمل قائلًا:

– نفسي في بيت يضمنا.. نفسي أحضنك من غير ما أخاف.. نفسي أشيلك وأجري بيكِ.. نفسي تاخديني في حضنك وأنام.. نفسي فيكي ونفسي في كل شيء معاكي..



ثم ابتلع ريقه في غصةٍ وهي ترى دمعةً تطفو في عينيه وابتسم بحزنٍ وقال:

– نفسي أبطل أقول نفسي..

أشرقت شمس اليوم الجديد.. وكأنها تدق لهم أجراس معركةٍ.. لم يتلاقَ أبطالها على ساحتها بعد.. معركة بين قلبين قويين يتنافسان على قلبٍ رقيقٍ من الجنة..

أيقظ عمر حنين.. واطمأن عليها واطمأنت عليه.. و..

وانطلقا على وعدٍ بلقاءٍ اقتربت أيامه.. لقاؤهما الأول..

لم يخبر عمر حنين بعد أنه يعد الأيام تنازليًا للقائها.. وأنه في انتظار مجيء هذا اليوم ليبدأ العد التنازلي للقائها ورؤيتها بالساعات والدقائق..

انقضى يوم عمل حنين الشاق.. وبدأت تجمع أغراضها الخاصة على مهل في انتظار مكالمة يوسف.. ليحدد لها المكان الذي سيلتقيان فيه.

في هذه الأثناء كان التوتر الشديد قد استبد بأعصاب عمر.. فقد أخبرته بأنها ستلتقي يوسف في الخامسة.. يغار عليها حد الجنون.. تمنى لو أنه معها.. إحساسه بها يغلب عليه الخوف عليها.. يريد أن يحيط بها من كل جانب لكي يحميها.. حتى من نسمات الهواء البارد التي قد تؤذيها وتمرضها.

ولكنه لم يعلم أنه يحيطها وتستند إليه حقًّا.. لم تتعود حنين أن تستشير أو تستجيب وتستسلم وتثق برأي أي شخص.. سفرها المتكرر وغربتها منذ صغر سنها.. أكسبها. استقلاليةً وشخصيةً مميزة.. لها آراؤها الحكيمة ونظرتها الثاقبة للأمور الذي يعتد به غيرها.. ولكنه قلبها وحده نقطة ضعفها.. جسديًّا بمرضه ونفسيًّا بعاطفته.



ها أنت تظهر يا عمر في خطوات حنين الثابتات وهي في طريقها ليوسف.. ونبضات قلبها الهادئات حين رأته وامتدت يده ليصافحها.. وما أن انحنى ليقبل كفها حتى سحبته من بين أصابعه بمنتهى الهدوء وجلست..

نظراتها جافة.. تخلو من التماعة الحب التي كان يراها في عينيها سابقًا..

لم تبادره الحديث.. بعفوية وشقاوة الأطفال التي عشقها دومًا..

فبدأ هو الحديث قائلًا: «أول حاجه أنا آسف على اللي حصل امبارح لو كنت وجعتك».

ابتسمت ابتسامةً فيما معناها «امبارح بس!»

وهو يمد يده ليضعها فوق كفها الذي تسنده أمامها على الطاولة.. «هو أنا ما وحشتكيش يا حنين؟»

سحبت يدها مسرعةً لتبتعد عنه..

– حنين أنتِ ما بقتيش تحبيني؟

– السؤال ده أنا اللي المفروض اسألهولك كده «أنت عمرك حبتني أصلًا؟» طيب أنت كنت شايف كل حاجة عيشتها معاك واتحملتك فيها كانت بدافع إيه؟ عمومًا إجابتك على الأسئلة دي أنا عرفاها.. إجابتك هي وجودك هنا قدامي يا يوسف.

– حنين أنتِ بتتكلمي كده ليه؟ عينيكي قوية وجافة من اللي جواكي ليه؟

– عشان ما بقاش في حاجه جوايا ليك ممكن تبان في عيني..

– أنتِ في حد في حياتك صح؟



– أنت قلت جاي تتكلم يا يوسف.. مش جاي تستجوبني.

– بتحبي حد تاني؟

– حد تاني بمعنى إيه؟ هو في حد أولاني أصلًا؟!

نظر لها بغضب.. «عارف إني جرحتك.. بس أنا بحاول أصلح غلطي».

– مبدئيًا بس هي غلطات مش غلط واحد.. وأنا مشتركة معاك في الأخطاء دي عشان سمحتلك تبعد وتقرب وقت ما تحب.. تغيب وتظهر وقت ما تشتاق.. بس يا ترى هنصلح الأخطاء دي إزاي؟

– إديني فرصة تانية.

ضحكت وهي تسند ظهرها للكرسي.. أنت طبيب آه بس مش شاطر في الحساب.. لو هديك فرصة يا يوسف مش هتكون دي الفرصة التانية.

– أنتِ ما بتحبنيش يا حنين.

بداخلٍ ينتفض.. استجمعت ما بداخلها من قوة وتظاهرت بثباتٍ شديد.. «أنا بكرهك».



(٦)

اتسعت حدقتا عيني يوسف من هول ووقع الكلمة.. التي لم يتخيل يومًا أن يسمعها على لسانها لأي شخص على وجه الأرض.. تقولها بهذا الثبات لمن؟ لي أنا!

«يوسف»!

أشار بأصبعه إلى صدره وهو يتحقق من ملامحها علّها ليست حنين التي يعرفها وهو يسألها في عدم تصديق..

«بتكرهيني أنا»!

– يوسف.. أنت راجع دلوقت ليه؟ عاوز مني إيه؟ أنا خلاص ما عنديش حاجة أقدر أقدمها لك..

– أنا راجع أقولك آسف سامحيني.. وعندي استعداد أعمل أي حاجة تطلبيها مني.. بس ما يبقاش ده الشعور اللي جواكِ ناحيتي.

– أنت اللي خلتني أحبك وأتعلق بيك.. كان ممكن نفضل أصحاب.. على فكرة ولا حتى كنا ننفع نفضل أصحاب.. عارف ليه؟ لأنك ما تعرفش كام مرة أنا احتجتك وما لقيتكش.. طيب كام مرة كنت بتختفي وتبعد وما اعرفش عنك حاجة



وأفضل أعيط ليالي وأفكر عملت إيه غلط زعلك مني.. كام مرة دورت عليك.. كام مرة بعت لك رسايل بكل ذرة حب في كياني.. وكان ردك بارد ويخليني أتكسف من اندفاعي وعفويتي في مشاعري معاك..

– كل ده يا حنين؟!

– وأكتر.. أنا مش عاوزة آخد من وقتك أكتر من كده.. لو هو ده بس اللي أنت جاي عشانه.. أنا كنت صريحة معاك زي ما كنت دايمًا من يوم ما عرفتني.

– أنا خسرتك.. وخسرت معاكي كل المعاني الحلوة في حياتي.. إدينا فرصة نقرب من بعض تاني.. وأوعدك مش هتندمي.

– أنا ندمت خلاص.. جه دورك أنت بقى يا يوسف.. بعد إذنك.

نهضت تستعد للرحيل.. وما إن مد يده محاولًا استبقاءها.. حتى أبعدها.. كي لا يغضبها مجددًا.

«بقيتي قاسية جدًّا».

– ربنا يوفقك في كل أمور حياتك.. إبقى طمني عنك كل فترة.

– أنتِ فيه في حياتك حد وبتحبيه أنا متأكد.

ابتسمت له وهي ترتدي حقيبتها..

– مع السلامة يا يوسف.. خد بالك على نفسك.. توصل بالسلامة يا رب.

غادرته وملامحها وأحشاؤها ترتعش.. فلم تكن يومًا بمثل هذه القسوه وهذا الجفاء.. كانت كمن يبذل قصارى جهده ليمشي عكس عقارب الساعة أو يسبح عكس تيارٍ عارم.. تصرفت وتحدثت عكس فطرتها التي خلقها الله وميزها بها.



– عمر.. أنا مخنوقة..

جاءه صوتها باكيًا عبر الهاتف بهذه الكلمات.

– مالك يا قلبي؟ إيه اللي حصل؟ اهدي أرجوكِ.. قالك أو عملك حاجة ضايقتك؟

– أنا أول مرة آكون كده أو أتعامل بالأسلوب ده.. أنا كنت قاسية وقليلة الذوق أووي..

– أنتِ لسه في الشارع؟

– آه.

– طيب ممكن نروح ونتكلم وتحكي لي بالتفصيل.. بس بربنا اهدي.. أنا هفضل معاكي أهو.. ما تقفليش الخط.. وما تتكلميش لو مش حابة تتكلمي أطمن وأسمع صوت نفسك بس.

– حاضر..

– لابسة تقيل؟ الجو برد عندك النهارده..

– عرفت منين؟

– هو أنا بيفوتني حاجة منك أو عنك يا بيبي؟ ده أنا منزل تطبيق مخصوص على الفون عشان أشوف درجة الحرارة وأحوال الطقس عندك يوم بيوم.. ما فكرتيش في أيام باكد عليكي فيها البسي جاكت البسي جوانتي.. لفيتي كوفية كويس.. هو أنتِ أي حد يا بنت أنتِ؟ ده أنتِ القمر حنين..



شردت للحظات.. كيف لها أن لا ترى نفسها ترتفع إلى الجنة في السماء السابعة مع عمر؟ وكيف كان يهوي بها يوسف إلى الأرضين؟

– عمر..

– عيون عمر..

– فاكر ١٪؟

بابتسامةٍ قال: طبعًا.. مفيش أي حاجة معاكِ تنفع تتنسي..

– أنت استثناء في عالم الرجال.. أنت ١٪.

– إذا كنت أنا ١٪ عمر.. يبقى الـ٩٩٪ اللي بيكملوني هما حنين.. ده أنتِ عملة الحب النادرة.. لا عرفت ولا هعرف حد زيك ولا قريب منك حتى.. ولو في حد قريب منك أنا عارف إن هيكون بينك وبينها سنين ضوئية.

– يا الله! كل ده أنا! ليه؟ أنت شوفت مني إيه يخليك تقول كده؟!

– شوفت معاكي وعلى إيدك الخير كله.. ولسه لما نتقابل.. على فكره فاضل ١٠ أيام و٦ ساعات على وصول الملكة المطار.

– أنت حاسبهم؟

– بالساعة والدقيقة.

– لما قولتلك ١٪ دي كانت رمز تميز وتفرد.. ودلوقتي جه في قلبي معنى تاني ليها.

– قولي لي كل اللي بييجي في بالك ما تفكريش..



– الفون لما بيكون شحنه ١٪ بتحس بقيمته أكثر.. بتفكر وتنتقي الكلمات المناسبة والقليلة والبسيطة اللي هتقولها عشان الـ١٪ هو اللي هينقذك.. وكأنك بتستنجد بيه.. وأنت أهو يا عمر في وسط دموعي وضياعي بالنسبة لي الـ١٪ اللي لجأت له عشان ينقذني..

– يا غاري عليكي.. طيب بدينك أنا أقول فيكي إيه وفي حسك وكلماتك ورقتك؟ بقولك إيه من الآخر.. أنا هتجوزك.. برضاكي غصب عنك هخطفك واتجوزك برضه.

ضحكت في خجل..

– فكراني بهزر؟ وحياتك هيحصل وتقولي عمر المجنون كان عنده حق.

– ما تقولش على نفسك مجنون.. بزعل.

– مجنون بيكي.

بعد أن تابع يوسف خطوات حنين حتى اختفت عن ناظريه.. ضرب الطاولة التي أمامه بقبضة يده.. محدثًا نفسه «أنا يا حنين.. وحش أووي للدرجة دي؟ ضيعتك من إيدي ومش هعرف أرجعك؟ مش عارف أحب غيرك.. ما دوقتش الراحه ومتعة الحب إلا معاكي.. وبخه قلبه قائلًا: أيمكن أن تسكت الآن.. لماذا لم تشعرها وتقل لها كل هذه الكلمات والمشاعر سابقًا؟ والآن.. كانت أمام عينيك.. كانت بين يديك.. ولكنه عقلك الغريب.. صور لك بكل غرور وكبرياء أنها ملك يمينك.. تتركها متى شئت.: وتقترب منها متى تريد.

– وصلتِ بالسلامة؟



– آه.. الله يسلم قلبك يا رب.. عمر أنا مش مستوعبه أنت بتعمل معايا كل ده ليه؟

– بعمل إيه؟ أنا لسه ما عملتش حاجة.. هتصدقيني لو قولتلك أنا مش عارف أنا مشدود ليكِ أوي كده ليه وإزاي وحصل إمتى كل ده؟ بس اللي أعرفه ومتأكد منه إن اللي جوايا ليكي حاجة كبيرة وجميله أووي وبتكبر كل يوم عن اليوم اللي قبله..

– وأنت غالي عليَّ أووي يا عمر.

– حنين أنا بحبك..

– .....

– بحبك.. عايزك.. عايزك مراتي يا حنين.. عايزك في بيتي.. بتاعتي.. ماحدش يمسّك حتى لو بنفس ممكن يضايقك مش يئذيكي.

شعرت بالدم يتدفق في رأسها بشدة.. وأحست بدوار.. أحاسيس تختلج وتتصارع في قلبها.. فرحة.. خوف.. خجل.. سيل من المشاعر يسري في جسدها كله.

– ما تتسرعش أرجوك.. أنت عارف ظروفي كويس.. بيت وأسرة ده بالنسبة لي حلم جميل أنا صحيت منه من زمان.. خلينا واقعيين يا عمر أرجوك.. أنت ليَّ حاجة كبيرة وعاوزة أحتفظ بيك في حياتي مش عاوزة أخسرك كأخ وصديق.. عشان خاطري..

رأى دموعها التي تتحدث بصوتٍ مهزوم من كثرة الخذلان.. يراها طفلةً وما زالت وستظل.. براءةً وصدق تتجسد في صورة إنسانة.. يريدها هي ولا أي شيء آخر.



– اسمحي أمسحلك دموعك الأول.. أنا عاوزك أنتِ.. مش عاوز أطفال. مش عاوز غير إني أكون معاكي أنتِ.. أنتِ بنتي اللي أنا ما خلفتهاش يا حنين. هو ده إحساسي بيكي.. زي ما أنا متأكد إن أنا ابنك.. وعشت ده في خوفك عليه وفرحتك لفرحي وتعبك لتعبي.. خليكي واثقة إن في حاجة بينا مش موجوده في قاموس تعريفات الحب.. وأنا عارف ومتأكد إنك هتؤمني بده زي ما أنا مؤمن بيكِ لما نتقابل صدقيني.

– أنا مش أنانية يا عمر.. ما ينفعش عشان أحس بمتعة الحب معاك أحكم عليك لباقي حياتك بإني أحرمك تكون أب وتجيب طفل يحمل اسمك..

– أنا أب يا حنين.. أنا أبوكي.. ما حسيتيش ده معايا؟ بعدين من إمتى حنين أنانية؟ ده أنتِ قدمتِ لي اللي ممكن ما يقدمهوش جيش من البشر.. حنين أمي.. حنين أختي.. حنين صديقي وصديقتي.. حنين... حنين... حنين.. مشكلتك إنك لسه ما عرفتيش أنتِ بقيتي بالنسبة لي إيه.. بس أوعدك هتعرفي.. شمس يومي ما بقتش تطلع إلا لما أسمع صوتك وأطمن إنك بخير.. فاكرة لما بعتلك أغنية (أحمد جمال – يا اللي شمس الدنيا تطلع)؟ دي حقيقة.. أنتِ شمس دنيتي.. بتغيبي عني بضيع يا حنين.. أنتِ طريقي وماليش طريق غيرك.. حياة أنتِ.. حياة بطعم الجنة وأنتِ حور الجنة.. تاني وثالث ومليون عاوزك يا حنين ومش هسيبك لو بموتي.

– بعيد الشر عنك يا رب.

– محضرلك كام مفاجأة لما تنزلي.

– أنا مفاجأتي ومتعتي أشوفك وأطمن إنك بخير.



– طيب هو في كده؟ يا بنتي الواحد قابل نماذج بشر قدم لهم صوابع منورة شموع.. ولا حسوا ولا قدروا.. بس الحمد لله.. عشان أنا ربنا كان شايل لي هدية غالية أووي اسمها «حنين».. بنتي وحبيبتي وأمي وكل ما ليا في الدنيا.. ماليش غيرك يا حنين.. آمني بده زي ما أنا مؤمن بيكِ.

بدأت الحياة تدب في قلب كل منهما بشكل مختلف.. وبدأت الأيام تزهر.. وقلب حنين يطمئن ويسكن.. بل إنه لم يعد يسكن ويهدأ سوى معه وبصوته الذي لا يفارقها لحظةً في يومها.. منذ أن تتفتح عيناها وحتى تغفو على صوته وأنفاسه ليلًا.

مرت الأيام.. وها هو صباح يوم اللقاء.. حزمت حقيبتها ليلًا ونامت ولم ينم.. كان القلق رفيقه بعدة صور.. قلق عليها.. قلق أن تتغير.. لم يعد له خيارٌ في الحياه سواها.. بل إنها هي الحياة.. حياته تتلخص فيها بكل معانيها..

سمع صوت تمطيها.. ليعلم أنها استيقظت..

– يسعد صباح ست البنات..

بصوتها النعسان الذي عشقه أتاه صوتها..

– صباح النور.. أنت صاحي من بدري؟

– أنا تقريبًا ما نمتش..

اعتدلت في السرير بسرعة في خوف.. «مالك تعبان؟»

– لاء لاء.. ما تخافيش كده.. أنا زي الفل.. مشتاقلك بس.. فاضل ١٠ ساعات بس.. هما اللي فاضلين واشوف حنيييين.



ضحكت في خجل..

– وأنا متشوقة أشوفك أووي يا عمر أووووي.. قلبي بيدق أووي..

– الله.. حبيبي الصغنن اللي بيدقدق جواكي ده.. بعشق قلبك.. عاوز آخده بين إيدي كده وأبوسه.. شايف خدوده الحلوين أهم مكسوفين.. خلاسي يا ناس.

– هههههههه.. مالكش حل.. خلي بالك على نفسك لحد ما أجيلك اتفقنا؟

– أنا حنين بتاخد بالها مني.. أنا ما اعرفش حاجة في الدنيا غيرها.. هي اللي تعرف عني كل حاجة.. ده أنا بقيت أوقات أروح للدكتور يسألني مالك؟ ببقى عاوز أقوله اسأل حنين.

– هههه.. للدرجة دي؟!

– وأكتر.. تيجي لي بالسلامة وتنوري مصر يا رب.

مصر.. التي لم تطأها قدماها منذ سنوات.. مصر التي لم يعد لها فيها قريب بعد أن توفي والدها..

خطواتها التي تقربها إلى المطار ثم إلى الطائرة.. كانت ممزوجةً بالكثير من المشاعر العارمة.. خوف.. حب.. اشتياق.. ترقب.. خطوات إلى مجهول لا تعرف فيه سوى عمر.

جلست إلى كرسي الطائرة.. وقبل أن تغلق هاتفها.. كانت المحادثة الأخيرة بينهما..

أتاها صوته الحنون الذي يقطر حبًّا وحنانًا..

– مستنيكي.



- يعني خلاص هشوفك؟

- أنا شوفتك.. تجيلي بالسلامة.. خلي بالك على نفسك وواحدة واحدة.. من غير إجهاد.. ماشي؟

- حاضر.

- حاضر حاف كده؟!

- حاضر يا سي عمر أفندي باشا الكبير.

ضحكا وأعلن كابتن الطائرة إغلاق الهواتف الجوالة استعدادًا للإقلاع.

- لا إله إلا الله..

- سيدنا محمد رسول الله.. بحبك يا حنين.

(٧)

دارت عجلات الطائرة معلنة العد التنازلي للمسافات الفاصلة بينهما.. التي كانت في الواقع بالنسبة لهما لا تعني شيئًا.. فأرواحهما متعانقة دومًا..

كما كانت قناعتهما.. «أن المسافات ما تقدرش تبعد بين اتنين أرواحهم بتحضن بعض».

متعة الحب معه مختلفة.. فقد بدآ من حيث انتهى الآخرون.. أحبها وأحبته.. أرادها وأرادته.. ثم التقيا.

نظرت حنين من نافذة الطائرة.. لترى كم هي قريبة للشمس والقمر.. أحست أن هذا هو بيتها.. بل هنا شيد عمر لها قصر حبه وأسكنها فيه كالملكات.. ملكةً على عرش قلبه وحياته بأسرها.. شعرت وكأن السماء تحتفل بها بكل ما فيها من سحابٍ أبيضٍ كقلبها ونجومٍ ساطعةٍ تلتمع كعينها.. هنا أيقنت أن ضوء القمر لم يكن إلا انعكاسًا لنور الحب بقلبيهما.

كانا يدوران في كونٍ منفصلٍ عن الكون. فتارةً هي شمسه وهو قمرها.. وتارةً هي أرضه وهو سماؤها..



تذكرت يومًا قالت له: أرجوك أن لا تلمني يومًا على مشاعري وإحساسي الزائد بك أو بغيرك ممن هم حولي.. فأنا أنثى اختصني الله بشيءٍ مختلف.. فأنا أمتلك قلبًا آخر داخل عقلي.

نعم كانت تحبه بقلبها وبقلب عقلها.. لم يتعارضا يومًا أو يختلفا بسببه كما كان يحدث معها في قصصها السابقة.

كانت هي تحلق في السماء بينما كان هو يطير كطائرٍ فرح بلقاء توأم روحه التي بحث عنها طويلًا.

ذهب لعمله لينجزه سريعًا ليبدأ بعده رحلته في بعض المحال ليبتاع لها هديةً، بل اثنتين.. وباقة زهور تليق بملكة.

عاد لمنزله مسرعًا: «ماما عاوز أقولك حاجة».

نظرت له أمه بابتسامتها الحنون.. واتسعت ابتسامتها عندما رأت باقة الزهور في يده..

- ماما.. أنا بحب.. هقابلها النهارده.. بصي جبتلها إيه!

أسند باقة الزهور جانبًا.. وأخرج من حقيبة الهدايا علبتين أنيقتين.. كانت تحوي إحداهما قلادةً فضية على شكل شجرة ويسكنها عصفور صغير.. كان اختياره ذا معنى.. الشجرة تمثله هو والعصفور يسكُنه ويسكُن إليه..

ثم فتح العلبة الثانية.. لتجد بداخلها ميداليةً فضيه حفر عليها آية الكرسي.. لتحفظها أينما حلت.. أو ارتحلت.



- جميلة يا حبيبي.. ربنا يسعدك.. بس كده فجأة؟ وهي مين؟ ده أنت لسه خارج من موضوع كان مأثر فيك جامد ومضايقك وكل ما أكلمك على الارتباط تاني تقولي أنا صرفت نظر عن الموضوع ده خالص.

- يا ماما بقولك.. بحب.. بحبها.. حنين حاجة تانية.

- اسمها حنين؟

- آه.. هبقى أحكيلك كل حاجة بعدين بالتفصيل عشان عاوز أجهز نفسي عشان أستقبلها في المطار.

وهو يدخل غرفته مسرعًا: بجد حلوة الهدايا يا ماما؟

اتسعت ابتسامة أمه وهي تهز رأسها يمينًا ويسارًا.. متعجبةً من حال ابنها الذي يكاد يطير من الفرح بعد أن كان لاذ بالصمت والاكتئاب لفترة بعد قصة ظنها حبًا.

و لكنها لم تصمد أمام الظروف.. لأن طرفًا فيها كان أنانيًا بشكلٍ كبير.. وكان قد قص ذلك كله لحنينٍ أيضًا.

بينما كان يتجهز استعدادًا لرحلته الى المطار.. إذا بمديره في العمل يستدعيه في اجتماعٍ طارئ.. حاول الاتصال بزملائه ليتخلص من هذا الاجتماع بأي صورة ولكنه لم يفلح.

أصابه الغضب الشديد.. فكيف تصل حبيبته ولا يكون في انتظارها.. بعث لها رسالةً على هاتفها.. لتصلها فور أن تفتح هاتفها.. «حبيبتي المدير طالبني في اجتماع طارئ ومفاجئ.. أنا آسف.. هروح بسرعة أستأذن منه وأجيلك طيران.. عشان خاطري إوعي تخرجي من المطار قبل ما أجيلك.. أول ما الطيارة تنزل كلميني فورًا.. بحبك».



ما إن هبطت الطائرة وأصبح مسموحًا للركاب فتح هواتفهم.. تسلمت حنين رسالة عمر.. ابتسمت ثم أرسلت له ولا يهمك خالص خد وقتك.. أنا هاخد عربية وأستناك عند البيت.. وأرسلت له عنوان منزل والدها حيث ستبيت هذه الليالي القصيره.. لتمضي عقدًا مع إحدى دور النشر الكبيرة التي ستتبنى نشر مجموعتها القصصية الجديدة.. قبل أن تعود أدراجها مرةً أخرى لأمريكا لتستأنف حياتها وعملها.

ابتسمت لا إراديًا عندما تذكرت هذا اليوم.. عندما أخبرته عن العرض الذي قدمته لها دار النشر العريقة.. فقد كانت فرحته تضاهي فرحتها هي بنفسها.. ولن تنسى أبدًا كلمته التي أخبرها بها مرارًا وتكرارًا وعاشتها واقعًا حيًّا «بفرح بنجاحك أكتر من نجاحي عشان أنا أب والأب الوحيد اللي يتمنى بنته تكون أحسن منه».

وصلت رسالتها لعمر.. فوجد نفسه ينتفض واقفًا.. يستأذن من المدير في الرد على مكالمه طارئة.. وخرج مسرعًا.. يهاتفها.. صوت جرس الهاتف.

«يلا يا حنين ردي.. أفففف».

بعث لها رسالة «لاء ما تخرجيش من المطار أنا جاي خلاص».. ودخل مسرعًا.. وطلب المغادرة لأمرٍ طارئ جدًّا.. لم ينتظر حتى أن يسمع صوت مديره وهو يسمح له.. اكتفى برؤية إيماءة رأسه بالموافقه وانطلق.

أخذ باقة الزهور وحقيبة الهدايا واستوقف سيارةً للمطار.. بينما هو في طريقه لها كانت هي في الطريق

المعاكس له خارجةً من المطار.. هاتفها كثيرًا.. بلا رد.



لم تستطع حنين سماع صوت هاتفها بسبب أصوات الزحام في المطار.. وما إن استقلت السيارة وأخبرت السائق بوجهتها أخرجت هاتفها لترى رسالة عمر.. وعدد المرات الكثيرة التي هاتفها فيها.

– عمر.. آسفة.. ما سمعتش الفون من الزحمة.

– الحمد لله على سلامتك يا قلبي.. أنتِ فين.. أنا جايلك خلاص ما تخرجيش.

– الله يسلمك.. أنا ركبت.

– يا حنين أنا مش قولتلك استنيني.. معلش حصل خير.. أنا هلف وأجيلك.. استنيني ما تشيليش الشنط لوحدك.. ماشي.

– أنا آسفة والله.. حاضر هستناك اتفقنا.

– مفيش أسف.. حبيبتي الحمد لله على سلامتك.

أخذت ضربات قلبيهما تتسارع بشكلٍ لم يعهداه كليهما من قبل.

وصلت حنين أولًا.. أنزل لها السائق حقيبتها.. ووقفت إلى جوارها تنتظر حبيبها.. كانت نسمات الهواء باردةً منعشة اشتمَّت فيها دفئًا افتقدته كثيرًا.

شردت وهي تنظر للمنزل والشارع وأخذت بعض الذكريات المفرحة والحزينة تتراقص أمام عينيها.

قطع الطريق على دمعاتها اتصال من عمر.

– وصلتي؟

– امم..



– إوعي تكوني طلعتي الشنط..

– لاء لاء.. مستنياك.. العنوان واضح عندك؟

– آه واضح.. أنا قربت عليكِ خلاص.

– تمام.. توصل بالسلامة.

بعد دقائق قليلات.. وجدته يتصل مجددًا.

– أنا أهو وصلت عند الكافيه اللي في العنوان.. أنتِ فين؟

– أنا واقفة في الشارع من جوه عند مدخل العمارة اللي فيها الكافيه أنا مش شيفاك.. جاءتها أنفاسه المتسارعة عبر الهاتف.. وهو يقول: «أنا شوفتك أهو يا حنين شوفتك».. لتلمحه يظهر أمامها من بعيد على الناحية الأخرى من الطريق ليعبر لها الطريق راكضًا نحوها.

توقف الزمن لثوانٍ.. حينما استقرت قدماه ليقف أمامها بأنفاسه اللاهثة.. وتلاقت أعينهما للمرة الأولى منذ تعارفا.

لم يشعر سوى بنفسه وهو يأخذها إلى صدره بين ذراعيه.. لتسلم رأسها على كتفه.. وتتنشق عبير عطره وينهل هو من نبضات قلبها التي كانت تضرب صدره بقوة.. هذا القلب الذي أراد وأحب وجن عشقًا به وبصاحبته..

كان ذراعاه يرتعشان تحت يديها من قوة ضمته واشتياقه.. أبعدها لثوان وهو يمسك وجهها بين كفيه.. ناظرًا لها ولملامحها الطفولية البريئة ولعينيها الجميلتين اللامعتين.



ابتسمت في خجل وهي تنظر إليه.. وبهمس الكلمات قالت: أنت عمر! أنا شيفاك بجد!

ضمها إلى صدره ثانيةً.. وطبع قبلةً حنونًا على جبهتها ورقبتها.

– آه عمر.. يا روح عمر.

مد كفه ليحتوي كفها الصغير البارد.. تعالي أدخلك الشنطة الأسانسير.. طلعيها الشقة وانزلي لي على طول.

لم تعد تستطيع الكلام وهي تراه يتحدث.. فهزت رأسها بالإيجاب.

أخذت تراقبه وهو يحمل حقيبتها ويفتح باب المصعد الحديدي ذي الطراز القديم..

أدخل الحقيبة ثم نظر لها وقال: يلا مستنيكي.

مد يده ليخرج من حقيبة هداياه باقة الزهور ليقدمها لها..

حملتها من يده كأمٍ تحمل طفلها داخل صدرها تتأرجح به يمنةً ويسرة في زهوٍ وفرح شديدين.

«الله.. شكرًا يا عمر.. تحفة بجد».

ابتسم وهو غارقٌ في ابتسامتها.

« يلا اطلعي مستنيكي ما تتأخريش عليّ».

تعلقت عيناه بها وهي بداخل المصعد ليرفعها بعيدًا عنه.. لا يريدها أن تختفي عن عينيه ولو للحظه.. وقد عقد العزم على ذلك لبقية حياته.



فتحت حنين الشقه مسرعةً لتضع حقيبتها إلى جوار الباب وتسند باقة الزهور إلى طاولةٍ قريبة.. وانطلقت عائدةً إلى المصعد.. لتهبط به مجددًا حيث ينتظرها حبيبها.. وما إن رآها تنزل.. حتى انتظرها ليفتح لها باب المصعد وينزل أمامها على إحدى ركبتيه.. مادًّا يده إليها بعلبة الهدايا.. لترى القلادة وهي تلمع بداخلها.

توقفت لثوانٍ بعينين بدأ الدمع يلتمع داخلهما من شدة الفرح والدهشة.. نظر لها قائلًا.. «خديها».. وما إن مدت يدها لتمسك القلادة.. حتى اقترب بشفتيه من يدها ليطبع عليها قبلةً لا تحظى بها سوى الأميرات.

أخذت القلادة.. واتجهت للمرآة الكبيرة في مدخل المنزل.. لحق بها ليبعد لها شعرها الطويل جانبًا ويمسك بطرفي القلادة لترتديها وهي تتلمسها.. ثم همس في أذنها.. وهو يشير إلى الشجرة والعصفور.. استدارت لتواجهه سارحةً في عينيه.. ابتسم وهو ينظر في عينيها البريئتين التي تتراقص فيها الفرحة..

– دي حنين وهي جوا سكنتها عمر.

لم تشعر حنين بنفسها سوى وهي ترفع نفسها على أطراف أصابعها لتصل إلى وجنته لتطبع عليها قبلةً بريئة.. قبلة امتنانٍ وفرحٍ عظيمين.. وهي تتلمس القلادة على صدرها.. قالت:

– شكرًا أووي يا عمر.. جميلة ورقيقة أووي..

– يا قلبي يا حنين.. أنتِ اللي أجمل وأرق من أجمل وأرق حاجة في الدنيا.. إيه رأيك نقعد في مكان نتعشى ونشرب قهوة سوا.. فاكرة منش أنا سألتك ثاني مرة كلمتك فيها «بتحبي القهوه؟» قلت لي «جدًّاااا».. قلت لك إيه أنا بقى يومها؟

– قلت لي خلاص أنا عازمك على قهوة أول مرة أشوفك فيها.



- يبقى يلا بينا.

وثنى ذراعه للتعلق فيه وانطلقا..

ما إن خرجا من البناية حتى استقبلتهما نسمة هواء قويةً باردة.. دفعت بشعر حنين ليتطاير بقوة.

أوقفها عمر وهو ينحني ليمسك بالسحاب الخاص بمعطفها ليغلقه عليها.. كي لا تبرد.

نظرت له حنين وهو ينحني أمامها أرادت أن تضع يدها على رأسه وشعره ولكنها خجلت.

أخذت تنظر له.. كيف أشعر بك لهذا الحد وكأنني أعرفك من قديم الأزل؟!

أكاد أقسم أن أرواحنا تلاقت ولم تفترق منذ خُلقنا.

و ما إن أغلق المعطف عليها ورفع رأسه ينظر لها سائلًا..

- هاكده أحسن؟ دفيتي؟

- أنا دفيانة بيك ومعاك.

انطلقا كعصفورين فتح لهما باب محبسهما ليذوقا طعم الحب والحرية.

أجلسها إلى مطعمٍ تناولا فيه عشاءً شهيًّا.. وهو ينظر لها وتنظر إليه.. لا يريد أن تغيب عن نظره ثانية حتى ولو كان سبب طرفة عينه.

أخذ يتابع شفتيها الرقيقتين وهو يستمع لها وهي تتحدث إليه.. مستمتعًا بصوتها العذب وكلماتها المنسابه بنعومةٍ وبراءة..



استبدت به مشاعر الإعجاب.. فما كان منه إلا أن قاطعها قائلًا: حنين بجد.. أنت الأنثى كما يجب أن تكون.

توهجت وجنتيها من الخجل.. ثم قالت: أنا لحد دلوقت حاسة إني بحلم مش مصدقة إني معاك وشايفاك قدامي.

نظر لها في عينيها وهو يضع كفه على كفها..

«إحنا مش بنحلم.. حنين.. أنا بحبك».

تحسست القلادة على صدرها في خجل..

أخرج من جيبه العلبة الخاصة بالهدية الثانية.. ووضعها بجوار فنجان القهوة.. الذي وضعه النادل أمامها لتوِّه..

نظرت له بعينين متسائلتين: «إيه دي؟»

– افتحيها..

فتحتها لتجد ميداليته الفضيه حاملةً إيه الكرسي الكريمة.. نظرت له بحب.. «الله.. دي ليَّ أنا برضه.. كتير كده يا عمر.. كتير أووي».

– مافيش حاجة كتير على ست البنات.

انقضت الليلة سريعًا.. لم يريدا أن يفترقا.. أو يتوقفان عن الحديث أو النظر لبعضهما.. يريدان أن يسرقا من الزمان زمانًا آخر لا يبعدهما مرةً أخرى عن بعضهما.

وها هو مجددًا منزل حنين يظهر أمامهما ليستقرا واقفين عند مدخله..



– فرحان أووي.. ومش عاوز أسيبك.. بس لازم ترتاحي.. يومك كان طويل.. وهجيلك الصبح بدري نفطر سوا.. وماما عاوزة تشوفك.. ممكن تقبلي عزومتها على الغداء؟

وهي تنظر إليه في خجلٍ شديد.

– أنت كلمتها عني؟!

– طبعًا.. ومستنياكي تنورينا بكرة.. ممكن؟

– أتشرف بمعرفتها أكيد.

قبَّل يدها وجبهتها.. «يلا اطلعي ومش همشي إلا لما تبصي لي تطمنيني إنك دخلتي».

– حاضر.

– تصبحي على خير.

– تلاقي الخير يا رب.. شكرا أووي يا عمر.

وانطلقت إلى داخل المصعد.. وما إن دخلت الشقة حتى فتحت الشرفة لتطل لها منها كبدرٍ اكتمل نوره بسطوع شمس حبيبها عليها.. لوحت له مودعةً إياه..

سمعت هاتفها فأجابت مسرعة.. ووجدته وهو ينظر لها ويأتيها صوته الدافئ عبر الهاتف.

– بحبك.

– خلي بالك على نفسك.



– حنين بتاخد بالها مني.. يلا ادخلي اتدفي ونامي كويس.

– طمني لما توصل.

– حاضر يا ست البنات.

خرجت من الشرفة.. لتجد صورةً لأبيها.. وكأنه ينظر إليها بشوق «بقالك كتير ما جتيش يا حنين».

احتضنت صورته.. «سامحني.. أنا بهرب من أي مكان أنت مش موجود فيه.. أنت اللي سبتني يا بابا وما بقتش تيجي خالص.. تعالى عاوزة أحكيلك إني لقيته.. أو لقاني.. لا الوصف الصح إن ربنا هاداني.. أيوه بعتلي هدية.. أغلى هدية جتلي في حياتي.. حضنه دافي شبه حضنك أووي يا بابا.. بيخاف عليَّ زيك تمام.. عاوزني أكون أحسن منه.. أنت بس اللي كنت كده.. بس هو زيك الحمد لله.. اطمن وادعيلي وارضَ عني.. وأنا معاك هنا أهو.. هنام في حضنك».

وجدت عمر يتصل عند هذه الكلمة: «أنا وصلت يا بنوتي.. هو ممكن اتطمن عليكي وآخدك تنامي في حضني زي كل ليلة؟»

نظرت لصورة والدها.. وقالت له بهمس: «مش قلت لك»!

على غير عادتها لم تبدل ملابسها أو تتحمم في هذه الليلة.. فقد تشبع جسدها بعطره ولم ترد أن تتخلص منه.. أرادت أن تشعر أنها لا زالت في أحضانه.

سمع أنفاسها الهادئة واطمئن لاستسلامها للنوم.. فأغمض هو الآخر جفنيه وسافر معها لمدن الأحلام.



كانت كطفلٍ يتيم.. لم يَذُق مرارة طعم يُتمِه ولم يعايش إحساسه.. إلا عندما رأى أبوين يدللان طفلهما على مرأى ومسمع منه.

لم تشعر بيُتم مشاعرها إلا عندما اقترب منها وبدأ يرويها بحنانه ويحتويها باهتمامه.. كان هذا هو دورها في حياة من حولها.

كانت دائمًا الملكة ومن حولها الوصيفات.. مع وقف التنفيذ.

و ها هو يدخل بها نطاق القصر متوجًا إياها على العرش.. حين ظهر في حياتها.

أدركت أنه قد فاتها الكثير.. حين أخذها إلى دائرة الضوء.. حيث هي وفقط.. محور الاهتمام.. ومركز الدوران التي يدور حولها وبها الحياة.. كالشمس نجمة تدور حولها الكواكب.

نعم هي نجمة حياته.. مصدر الدفء والضياء.. بدونها لا حياة أو حياة باردةً مظلمه بلا روح.

استيقظت على هاتفه.

– حنين.. عاوز أتاكد إن اللي كنت في امبارح ده حقيقة.. مسافة الطريق هكون عندك.

ابتسمت وعينيها ما زالتا مغمضتين.

– تمام أنا هقوم أجهز أهو.

حدثت نفسها «عندك حق يا عمر.. أنا كمان حاسة إنه حلم».

وهي تلملم شعرها وتنظر في المرآة مبتسمة لنفسها..



«أحلى حلم».

هاتفها ما إن وصل تحت شرفتها وهو ينظر إليها في عليائها.. نعم هي العالية الغالية عليه كتير٣..

– حبيبي أنا تحت.

– حالًا.. ثواني ونازلة.

كانت تركض في الشقه كطفلةٍ كانت حبيسة شهور قضاها أبوها في غربةٍ عنها وأخبرها أنه ينتظرها ليخرجها لترى الدنيا.

كان هذا حقًا.. فهي ترى الدنيا على يديه بشكلٍ مختلف.

تعانقا ما إن رأيا بعضهما.. وقبّل جبينها وأمسك بكفها.. وهو ينظر باشتياقٍ لها.. رفع كفها إلى جهة صدره اليسرى.

– سامعة؟

أحست بقلبه ينبض بقوةٍ شديدة.. تحت كفها.. أحست بالخوف عليه.. إلا هو أو قلبه يا الله.. وظهر ذلك على ملامحها.

– ليه كده؟ ليه بيدق أووي جامد كده؟!

– بيحبك.. وأنا بحبك.

كانت في كل مرة تسمع هذه الكلمه منه (بحبك) وكأنها المرة الأولى لاعترافه الأول لها بحبه.. بنفس المتعة وخطفة القلب.



– عاوز أفطرك.. مصري.. عشان أنت أجنبي خالص يا أفندم.. ولازم نعود إلى أصولنا وقواعدنا وفولنا وفلافلنا سالمين.

– ههههههه.. وحشني الفول والفلافل أصلًا.

– يبقى يلا بينا.

تناولا فطورهما بمتعةٍ ولذة غير معهودة.. حتى عمر الذي من المفترض أن هذا الطعام مكرر بالنسبه له.. كان طعمه معها مختلفًا.

كانت تشعر وهي تراه يأكل أمامها.. أنها ترى طفلها الوحيد وهو جائع وقد أعدت له طعامًا يأكله باستمتاع.. وتنتقل لها هذه المتعة وهذا الطعم في فمه إليها لا إراديًا.

كانا يشعران بما يمتع بعضهما الآخر وبما يوجع ويؤلم أحدهما الآخر.. وكأنهما جسدٌ واحد.

بعد أن أنهيا طعامهما.. نظر لها.. سائلًا:

خطتك إيه النهارده قولي لي.. غير بعد الظهر طبعًا عشان هنزور ماما.. سايبها بتحضر لنا الغداء من قبل ما أنزل.

– تسلم إيديها يا رب.. بس مافيش داعي لتعب الغدا أنا أزورها على راسي.

– لاااااء.. ده الملوخيه والرز المعمر.. معمولين على شرف البرنسيس حنين النهارده.

– يا روحي.. ربنا يبارك في عمرها.

– مافيش دعوة لابنها الغلبان ده؟



ضحكت ثم ابتسمت في خجل وهي تقول: «ربنا ما يحرمنيش منك يا رب».

– ولا منك يا أغلى ما ليّ.. أوصّلك دلوقت فين.. ولا حابة تروَّحي وأرجع آخدك آخر النهار؟

– أنت هتصلي الجمعة صح؟!

– صح..

– ممكن تاخدني المسجد أصلي معاك؟

– يا سلام.. طبعًا.

قبل أن يدخل المسجد أوقفها عند باب مصلى السيدات وقال لها: «انتظريني دقائق ما تدخليش».

وما هي إلا دقائق فعلًا ووجدته قادمًا لها بابتسامةٍ عريضة يحمل كيسًا في يده.. يقدمه لها.

فتحت لتخرج منه رداء صلاة رقيق وناعم جدًّا.. نظرت له بعينين يترقرق الدمع فيهما.

– أقول فيك إيه؟! كتير يا عمر كده.

– مافيش حاجة تكتر عليكي.

– شكرًا.. على فكرة.. أنا هصلي بيه من النهارده كل الصلوات.. عشان أوهبلك ثواب كل صلاة باصلِّيها.

– مافيش منك أنتِ.. ربنا يحفظك.



- ويحفظك ليَّ.

- أشوفك بعد الصلاة.

كانت خطبة الجمعة عن ابتلاءات المؤمن.. وكيف إذا صبر أبدله الله على صبره خيرًا كثيرًا.. واختتم الخطبة بالدعاء لله أن يشفي مرضى العالمين.

انشرح صدرها كثيرًا.. وتفاءل هو خيرًا.

لم تخلُ سجدة من سجودها من دعوات له.

و لم تخلُ سجدة من سجوده من دعوةٍ لها.

التقت أعينهما من بين حشود المصلين.. مد يده لها ورفعها لشفتيه يقبلها.. ثم نظر لها قائلًا: «أنا أشهدت ربنا وملائكته والناس أجمعين إنك مراتي».

ارتعشت يدها في يده ودارت بها الأرض.. شعر بأنها ستسقط فأسندها داخل صدره.. وبخوفٍ شديد.. «مالك يا حنين».. وهو يربت على وجهها برفق «حبيبتي مالك.. ردي عليَّ.. أنا آسف لو كلامي ضايقك.. حقك عليَّ.. بس أنا عايزك يا حنين.. طلبتك من ربنا يا حنين وعارف إنه مش هيخذلني وهيستجيب».

هزت رأسها وعينيها متعلقين بملامحه في وهن..

- حاسة إيه؟ اتكلمي.. سمعيني صوتك.

- دوخت حبة بس.

- طيب تعالي نكشف.

- لاء لاء.. أنا هكون كويسة ما تقلقش.



– حاضر.. أنا بثق في كلامك.

– تعالي نكلم ماما أقولها إن إحنا في الطريق ليها.. إيه رأيك؟

– حاضر.

وهو يغمز لها بإحدى عينيه..

– هتقابلي حماتك.. اجهزي.

وكزته بخفةٍ ودلال وخجل.. في ذراعه.. بدأ يتألم ويتأوه..

– آه آه.. كده يا حنين ضربتيني مكان العملية.

اتسعت عيناها في خوفٍ وألمٍ وتأنيب ضمير.. وهي تمد يدها للذراعه..

– أنا آسفه والله.. معلش.. ما اعرفش.. طيب فين بيوجعك؟

أطلق ضحكةً عالية.. لم ير براءةً كبراءتها قط.

– وهو يربت عليها بحنان يطمئنها.. أنا بهزر معاكي.. ما تخافيش.

– مفيش حاجة بتوجعك؟ طيب عملية إيه؟

– بهزر معاكي يا قلبي.. مفيش عمليات.. وربنا أنتِ عسل.

ضربته مرةً أخرى وهي تتنفس بعمق.

– حرام عليك.. ماشي.. أنت اللي بدأت.. قابل بقى.

– وأنا جاهز.

غمزت له بعينها.. «اتفقنا».



(٨)

بقدر ما كانت قلقة من خطوات عمر الجريئة ويقينها أنه يحبها ويريدها حقًّا.. إلا أنها كانت شغوفة لأن ترى بيته.. وتتشرف بمعرفة والدته.. هذه الأم العظيمة التي ربّت رجلًا من ذهب.. رجل يعلم جيدًا كيف يعامل ويحترم مشاعر الإناث.. دون أن يشعرها بضعفها.. حتى ولو كانت فيمدها بقوته دون فضل منه في ذلك.

ما إن وصلا.. حتى أخذت نفسًا عميقًا.. ليصعدا معًا يدًا بيد.. حتى وصلا شقته.

دق الباب في فرحٍ ومرح ليعلن لوالدته عن قدومهما.

فتحت الباب بابتسامتها الهادئة الحنون.

– أهلًا وسهلًا.. اتفضلي.

لم تسلم عليها حنين بيدها بل وجدت نفسها تدخل أحضانها.. وكأنها رأت أمها التي حرمت منها منذ كانت طفلةً صغيرة.

شعرت بها هي أيضًا وربتت عليها بحنوٍّ شديد.

بعد أن جلسوا..



- حنين.. دي أمي.. ست الحبايب وحياتي كلها.

- ربنا يبارك في حضرتك ويرزقك الصحة والعمر الطويل يا رب.

- ودي بقى حنين يا ماما.. أرق وأحن وأطيب وأرقى بنت عرفتها في حياتي..

- ما شاء الله.. باين عليها.. ربنا يحفظك يا بنتي.

- ويحفظ حضرتك يا رب.

- بقول لكم إيه.. إحنا هنقضيها حضرتَك وحضرتِك.. أنا بدأت أجوع.. ها يا ست الكل الأكل جاهز؟

- من بدري.

أشار لحنين قائلًا: شوفتي.. أصل حنين كانت مكسوفة تيجي يا ماما ومش عاوزة تتعبك.

- لا حبيبتي البيت بيتك والحمد لله على سلامتك.

- ماما.. أنا بحبها.. هدخل أجيب الأطباق.. قوليلها بقى.. ثم غمز لها يغازلها.

احمرت وجنتا حنين للدرجة التي أضحكت والدة عمر كثيرًا.

- شقي الولد ده.. صح؟

ابتسمت حنين وهي ترى نظرة عمر لها وهو عائد نحوها يمسك بالأطباق بين يديه ليضعها على طاولة السفرة.

- قلتِ لها خلاص يا ماما.. ولا أقولها أنا وأعلي صوتي وأسمع الجيران؟



ثم نظر لحنين في غفلةٍ من والدته وهمس لها بشفتيه دون صوت «بحبك».

تبادلوا الحوار والتعارف على مائدة الطعام.. وهي تأكل طعامًا من سنواتٍ طوال لم تذقه وبهذا الإتقان..

كان عمر.. يتناوب بينهما.. يطعم هذه ملعقة.. وهذه الأخرى.. من الطبق الخاص به.. يدللهما في فرحٍ شديد يتراقص في عينيه.. كلما نظر لإحداهما.. كيف لا وهو محاط من يمينه ويساره.. بأصدق وأطهر قلبين أحباه.. أحباه كما هو دون قيدٍ أو شرط.

انقضت ساعتان لم يشعروا بهما.

طلبت حنين من عمر أن يبقى وسترحل هي.. تزور عمها وخالتها ثم تعود للمنزل.

– معاكي.. رجلي على رجلك.. أوصلك وأستناكِ خلصي مشاويرك كلها أنا معاكِ لحد ما أوصلك لحد البيت..

– يا عمر كفاية تعب كده.. ارتاح حبة وأنا هطمنك خطوة بخطوة زي ما كنت بعمل وأنا مسافرة.

– وانتي مسافرة ما كنتش بسيبك.. وأنتِ بين إيديا هنا أسيبك؟ مش هيحصل.. ده أنا ما صدقت يا حنين.. الموضوع منتهي مافيهوش نقاش.. وبكرة كمان في مشوار دار النشر أنا معاكي لحد ما توقعي عقدك.. وأوصلك بنفسي للمطار كمان.

– هقول إيه بس؟



– قولي لي بحبك يا عمر.

غمزته في كتفه.. «عيب بقى طنط قاعدة».

– تاني بتمسكيني من العملية؟

– ههههههههه.

– طيب إيه؟ ما سمعتش (بحبك).

ابتعدت عنه وكأنها تحتمي بوالدته.

– مع السلامة يا طنط.. ادعي لي كتير.

– مع السلامة حبيبتي.. ربنا يوفقك ويحفظك.. نورتينا وشرفتينا.

– الشرف ليَّ.

فتح باب الشقة وسبقها بدرجتين.. وانتظرها حتى خرجت ومد يده.. يمسك كفها ليجعلها تتأبط ذراعه.

– سلام يا ماما.. هخلص كام مشوار كده وأكلمك وأنا راجع عشان لو عاوزة حاجه أجيبهالك.

نزلا معًا.. كان يشعر وكأنها ينزل بعروسته.. وهي ترتدي له فستانها الأبيض كأميرة.. لطالما رآها كذلك ولكنه اليوم يراها ويلمسها حقيقةً.. وليس حلمًا.

ظل معها ملازمًا لها خطوة بخطوة كما وعد نفسه.. لن يتركها.. لن يخذلها.. لن يُبكيها يومًا.



زارت عمها وخالتها.. وهو قادم لها.. فوجئت به يخبئ شيئًا خلف ظهره ووجدته يقدم لها كيسًا مليئًا بأنواعٍ مختلفة من الحلوى والشيكولاتة.. التي علم أنواعها التي تفضلها منها وهما يتحادثان.. لم يكن ينسى أي تفصيلة تخصها.. مهما كانت بسيطة.

– عاوز حبيبي بقى.. ياكل ويستمتع.. مش إحنا بنحب الشيكولاتة زي بعض؟

ابتسمت في فرح وقالت بصوتٍ تتطاير منه رائحة السعادة: طيب إيه رأيك ناكلهم سوا سوا.

– لاء دول لحنين بس.. اللي لما هتاكلهم طعمهم هيجيلي أحلى أكتر ما هما حلوين.

– خلاص ما بقتش عارفة أشكرك إزاي.. من كتر الحاجات الحلوة أووي اللي بتعملها لي.. بس يا ريتني أقدر أفرحك ولو جزء صغير من الفرحة الكبيرة أووي اللي أنت معيشها لي دي.. بجد أنا كنت فرحانة لمعرفتك من أول يوم سمعت صوتك فيه.. بس لما قابلتك.. حبيتك من أول وجديد وأضعاف ما كنت.. بحبك.

أخذ قلبه يطير في صدره فرحًا.. اقترب منها.. حتى استشعرت أنفاسه على ملامحها.

– قوليها تاني كده.. قوليها يا حنين.

همست له في خجل دون أن تنظر إليه: بحبك يا عمر.

وركضت لداخل المبنى حتى إنها لم تنتظر المصعد وصعدت راكضةً على الدرجات إلى حيث شقتها.. أعلنت حبها له صريحًا وابتعدت وكأنما تهرب من ما بعد ذلك.

ظل عمر واقفًا.. لا يعلم ما يفعل.. لا يريد أن يغادرها ولا يريد أن تغيب عنه لحظة.. يريدها.. نعم وبشدة.. كلما ابتعدت شعر أنه ينقصه الكثير.. شعر بظلام.. يشعر بأيدٍ تريد أن تنتشله وتشده إلى الخلف وتبعده عن هذا الطُّهر والضياء إلى حيث الماضي المظلم.

– وصلتِ؟

– امم..

– ما بصيتليش أطمن عليكِ ليه؟!

– اطمن أنا كويسة.

– أنتِ بتعيطي يا حنين؟ ليه؟ بربك ليه؟ ده أنا ما صدقت سمعتها منك.. تعيطي! ما تخافيش.. أرجوكِ.. يوم ما تخافي أو تعيطي.. يبقى أنا مش موجود.

– حاضر.. أهو.. مسحت الدموع خلاص.

– طيب اطلعي لي أشوفك قبل ما أمشي.

فتحت باب الشرفة ليراها وهي تمسح بكفيها دمعاتها الغاليات.. ويداعب الهواء خصلات شعرها الأسود الناعم الطويل برقة.

أتاها صوته بحنان.



– ما تعيطيش.. ده أنتِ مش وقعتيني أنا بس في حبك.. ده أنتِ وقعتِ الحب نفسه في حبك.

سمع صوت أنفاسها وهي تبتسم: أيوه كده.. عينيكي ما اتخلقتش للعياط يا حنين.. هطمنك لما أوصل.

عقد عزمه واتخذ قراره الذي لا رجعة فيه.. وما إن صعد لمنزله.. حتى دخل لأمه وجلس إليها.. قبّل رأسها وكفها.. وشكرها على حسن ضيافتها لحنين.. وفاجأها قائلًا:

– ماما إحنا عاوزين نعمل زيارة رسمية لبيت حنين.

– ....!

– لما ييجي أحمد النهارده.. هتفق معاه عشان تيجوا معايا نطلبها رسمي من عمها.

– أنت فاتحتها في الموضوع ده؟ أخدت رأيها؟! ما تتسرعش يا عمر.

– أنا عاوزها يا ماما.. هي دي بيتي اللي أنا عايز أعيش فيه.. هي دي أم أولادي لو ربنا قدر لنا أطفال.

– ربنا يرزقكم يا حبيبي.. ويكتبلكم الخير.

لم تنم ليلتها جيدًا.. زارها الخوف من المستقبل.

هل هو كغيره؟!

رد قلبها مسرعًا «لا».



هل ما تعيشه هو جمال البدايات وفقط؟!

رد عقلها: «لا.. هو أنضج من أن يتصنع مشاعر ليتقرب لكِ بها لفترة ثم يتغير عليكِ.. هو يتعامل بطبيعته وبتلقائيةٍ جمة.

أدخلك بيته وعرفك على والدته.. هو يعلم ما يفعل جيدًا.. حبه لك ليس حبًا بلا هدف.. يريدك ويريدك بشدة».

لم ترد إيقاظه في الصباح الباكر.. فنهضت تعد لنفسها فنجانًا من القهوة.. لتستعد للمقابلة المنتظرة مع مدير دار النشر.. واستعدادًا لتوقيع العقود معهم.

لتعود بعد ذلك إلى هنا لتأخذ حقيبتها وتتوجه إلى المطار.. عائدةً من حيث أتت.

نظرت لهاتفها الذي أظهر اسم «عمر».

– يسعد صباحك.

– يسعد صباح الملك اللي صاحية من بدري وما صحتنيش..

– لسه على ميعاد شغلك ساعة.. أصحيك من بدري ليه؟ حرام عليك.

– طيب اطلعي البلكون.

– ليه في إيه؟!

– اطلعي بس.

نظرت من الشرفة لتراه يقف مشيرًا لها قائلًا في سماعة الهاتف: يلا تعالي انزلي.. عارف ما فطرتيش.. ولا أنا كمان فطرت.. هنفطر سوا.



هزت رأسها بتعجب وقالت في دلال ومرح: وربنا مجنون.

– بيكِ.. أنا مجنون بيكِ.

– دقايق مش هتأخر.

– مستنيكي..

ارتدت ملابسها مسرعةً.. ونزلت له..

– يعني ينفع كده؟ مافيش نوم ومافيش شغل.. هو أنا جاية عشان ألخبط لك دنيتك؟

– تلخبطي لي دنيتي؟! أنتِ جيتي نضفتي لي ورتبتي لي وعطرتي لي دنيتي..

أمسك كفها يقبله..

– مش هتكسبي ثواب في أخوكي وتتجوزيني؟

ضحكت من طريقته في استجداء عطفها.

– أنا ما بضحكش على فكره.. أنا فاتحت ماما فعلًا وقلت لأحمد أخويا.. إني عاوز آجي أقابل عمك وأطلب إيدك منه.

اتسعت عيناها من الدهشة.. «إيه السرعة دي يا عمر؟ ليه طيب دلوقت؟»

– مش عاوز أسيبك خلاص.. أطلبك من عمك النهارده.. وتسافري حبة وترجعي لي نتجوز.

– لاء.

– إيه اللي لاء يا حنين؟!



– مش عاوزة أتجوز.

– أنتِ مش بتحبيني؟

– .....

– ساكتة ليه؟

– بحبك.. بس أخ.. صديق.. مش أكتر من كده.. يا عمر.

ألجمته الصدمة من حديثها.

– أنتِ أكيد بتهزري صح؟

– لاء بتكلم بجد.. يا عمر.

– حنين أنتِ عاوزه تجننيني؟

– .....

– أنتِ بتعملي فيَّ كده ليه؟!

شعر بأن أعصابه ستخونه ففضل الصمت وقال في حنق: أنا مروَّح.. لو احتجتِ حاجة كلميني.. سلام.

وانصرف.. تاركًا إياها وراءه لأول مرة منذ عرفها.

كانت تريده.. غالبت دمعاتها الموجعات.. وأخفت الحزن الممزوج بصوتها وهي تحادثه.

وما إن أنهت حديثها معه.. وهي ما زالت تقف في مدخل منزلها.. حتى وجدت نفسها تكلمه في خاطرها.



.. حبيبي..

أعلم أني سأندم يومًا على ما فعلته الآن.. وحينها سأكتب لك لأسألك.

حبيبي.. هل أمرُ ببالكَ فتبتسم؟ أتذكر همسي لك بكلماتٍ تحبها؟

أيمرُ طيفي عليك يومًا وتتذكرُ حديثي وكلامي وضحكي الطويل ونحن معًا؟

سأتذكرك في اليوم ثمانٍ وأربعين ساعة.. وأحبُك في اليوم ألف مرة..

لستُ أعلم إن كنت ما زلت تحبني حقًا! ولكن كل ما أعلمه انني أذوب عشقًا بكلماتك ونظراتك وهمساتك.

طريقنا ليس واحدًا.. ومستقبلنا ليس معًا.. نعلم هذا كله ولا نبوح.

أدري أنني أداة طيعة في يديك إن أردتَ أن آتي فآتي وإن أردتَ مني الذهابَ سأذهب.

ولكن هذا ما لم أعهده عن نفسي وأرتضيه.

قد يحدث يومًا ان أتلمس شتى الطرق للقياك وأحسد كل من يمكنهم ضمك بل رؤيتك فقط.

أحبك كما لم أُحب وكما لن أُحب أبدًا.

وتحبني كما أُحِب وكما لم أُحَب يومًا.

بدايتي أنتِ ونهايتي أنت.. ولستُ أريد سواكَ بديلًا.

أريد ان أكون اللي جوارك فأنسى كل حزنٍ بداخلي يأكلني وأمسكُ يديكَ لأشعر وكأني امتلكت الدنيا بأجمعها.



أشعر بك أبي الحنون وأخي المهتم.

أحب أوامرك ونواهيك.. امتلأتُ بك حتى الوريد.

لهفتي لك حد البكاء.. صمتي.. شوقي ولوعتي كلها لك وإليك.

أتأمل نجوم الليل فأراها بعيدةً كل البعد عنا رغم ذلك فبعضنا متعلقٌ بها أشد التعلق.

وأنت نجمي الذي يعلقني به كل مساء وشمسي التي أستيقظ عليها كل صباح.

نهري الذي أرتوي منه.. وبحري الذي أسبح فيه وحدائقي التي أركض فيها ومنزل قلبي وملجأه.

مثوايَ الأخير.. أنتَ.

تضيقُ دنياي بي إذ تغيب شمسك عني فأختنقُ وأذعر.

أعلم أني كلما ساختلي بنفسي لن أجد من ذكراك مفرًّا.

سأذكرك في شدتي وفي بأسي.. في صحتي وفي مرضي.. في سعادتي وحزني.. في يقظتي ونومي.

عندما أختلي بنفسي وكأنما اختلت نفسي بكَ.

حبيبي.. أحبك.. وكفى.

ما إن صعدت حتى دخلت إلى غرفتها وأغلقت باب وستائر الغرفه.. أغلقت هاتفها.. حررت شعرها الطويل من قيوده لينسدل على ظهرها باشتياق للانطلاق.. خلعت نعليها.. لتشعر ببرودة الأرض.



أدارت أغانيها الحالمات بصوتٍ يحجب عن سمعها ما سواها.

وأطلقت العنان لنفسها وجسدها للتمايل مع الألحان الساحرات.

لم يناقض هذا المشهد المبهج.. إلا دمعاتها التي كانت تتطاير عن وجهها وهي تدور حول نفسها كالطير المذبوح.

عاد عمر لمنزله يبدو على ملامحه الإحباط والحزن الشديدين.. أغلق نور غرفته واستلقى على سريره ناظرًا لسقف الغرفة في شرود.. فغفت عيناه.

وجد نفسه ينزل مسرعًا من شقته ليقف منتظرًا لها على درجات سلم منزله العتيق.. فاتحًا ذراعيه.. مبتسمًا بأعينٍ لامعة.. ودقات قلبه تكاد يسمع صداها على الجدران التي تحيط به.

تعالي حبيبتي.. أخطِ خطواتك مسرعةً نحوي فأنا أشتاقك.. أشتاقك كثيرًا.

تتعالى دقات قلبه مع كل درجةٍ تلمسها قدماها وهو يراها تصعد إليه مسرعةً.. كم يحسد هذه الدرجات.

أما هي.. فتصعد الدرجة تلو الدرجة بفرحٍ وشوقٍ وأعينٍ ملؤها الغرام.. لتستقر في صدره وبين ذراعيه وأحضانه.. حيث الدفء والسكن وجمال العالم بأسره.

لكن هذه المره هناك شيءٌ مختلف.. لم يسمع سوى دقات قلبه هو فقط.. ورغم التفاف ذراعيه حولها إلا أنه لم يشعر بدفئها ولا بأنفاسها.. ولم يمتلئ صدره بعطرها. .



(٩)

فتح عينيه.. ليجد نفسه يقف وحيدًا على درجات السلم حيث اعتاد استقبالها.. ضامًّا جسده بذراعيه..

أدرك حينها أنها لم تأتِ.. وأنها أبدًا لن تأتي.

تتعالى أجراس الباب متلاحقةً.. ليستيقظ على أنفاسه المتلاحقة.. وجسده المتصبب عرقًا.. ناظرًا حوله.. وهو يتمتم بأنفاس متقطعة وقلبٍ لاهث:

«الحمد لله.. حلم.. لاء حلم إيه؟!.. ده كابوس.. لازم أروحلها.. مش هسيبها لنفسها.. لازم أروحلها دلوقت».

انتفض ناهضًا من سريره.. متجهًا صوب الباب.. ليفتح للطارق المتلهف.. وفي رأسه تدور الأفكار المتزاحمة.

وما إن فتح الباب حتى اتسعت عيناه من المفاجأة.

وجدها تقف بكامل أناقتها وهي تنظر بخجل للأرض:

«أنا آسفة.. ممكن توديني دار النشر؟ عاوزاك معايا».



أمسك بذقنها يرفع رأسها ليواجه عينيها.. قائلًا بحنان وحب:

– ما تنزّليش عينك في الأرض تاني.. بتي راسها دايمًا مرفوعة.. بعدين أنتِ ما تطلبيش.. أنتِ تؤمري.. أنا كنت قايم أجهز نفسي عشان أعدي عليكي نروح مع بعض.

ابتسمت وقالة بمرح: سوا.. سوا!

ضحك وردد وراءها: سوا سوا يا قلبي.

ها هو مبنى دار النشر.. تمنى لو يكون معها.. ولكن بأي صفة؟!

فاكتفى بأن يتمنى لها التوفيق وينصحها ببعض النقاط يجب أن تطلع عليها في بنود العقد.. ثم أخبرها بأه سينتظرها على أحد الكافيهات القريبة.. حتى تنتهي من توقيع العقود لتعود له ويحتفلا معًا.

– ادعي لي.

– ما تخافيش.. هما هيلاقوا زيك فين أصلًا؟ ربنا يكتبلك الخير كله يا رب.. مستنيكي.

غابت عنه حوالي الساعة.. جلس فيها في أحد المقاهي القريبة.. وطلب فنجان قهوته الأبيض المعهود.

تذكر تلك الأيام التي كان ينهي فيها عمله ويتوجه إلى المقهى معتزلًا كل من وما حوله.. ليقرأ مقالها المميز.. وهو يحتسي قهوته في فنجانه الأبيض المميز.

لم يخيل له يومًا أن يتعرف عليها شخصيًّا أو أن يراها حتى في مكان عامّ من بعيد.



يا للقدر! فها هو الآن معها.. لم يطمع سوى في صداقتها.. وها هو الآن يحبها وتحبه.

وجد قلبه يردد: يا رب كما قربتنا لبعض ونحن لم نطلب.. فاجمعني بها وأنا أطلب.

لمحها آتيةً له من بعيد بمرحٍ وفرحةٍ طفوليةٍ بريئة.. نهض يسابق خطواتها ليصل إليها قبل أن تصل إليه.

كانت شفاهها متهللةً بابتسامةٍ عذبة.. يبدو أن الأمور سارت على ما يرام.

– طمنيني يا قلبي..

رفعت له ذراعها بعلامة القوة.. وضحكت.

ضحك وهو يأخذ رأسها يقبله.. «طول عمرك جامد يا بنوتي.. ألف ألف مبروك حبيبتي.. فرحاااان والدنيا مش سايعاني من الفرحة».. ثم قال بأعلى صوته.. «بحبباااك».

أخذ المارة ينظرون إليهما.. وهو يشير لها ويقول لهم: «أيوه بحبها.. بحبها جداً!!!!!!».

بين خجل وابتسامةٍ وضحك وفرحة حاولت إسكاته قائلة: يا مجنون.. بس.. الناس بتبص علينا.

– أيوه أنا مجنونك.. بعدين هما فين الناس دول؟! أنا مش شايف حد غيرك.

ركضت نحوه.. ممسكةً بيده.. وقالت: يلا بينا من هنا قبل ما يطلبوا لنا البوليس.



– أنا عاوز البوليس.. عشان أشهده.. هو مش من أتلف شيئًا عليه إصلاحه؟ وأنتِ جنيتيني خلاص.. لازم تصلحي غلطتك وتتجوزيني.

ضحكت أكثر: أنت شربت إيه لما سبتك؟!

– أنا بشرب المر لما بتسبيني.. والنبي ما تسبيني تاني يا حنين.. ماشي؟

– ماشي.. بس تعالى نمشي بقى أبوس إيدك.

أخذا الطريق إلى منزلها سيرًا على الأقدام ليظلا معًا أكبر وقتٍ ممكن بين ضحكٍ ومزاح وحب.

ولكن هذه هي حال الأوقات الجميلة دومًا.. تهرب سريعًا جدًّا.. وها قد حان موعد إيصالها للمطار.

تشابكت الأيدي وتعلقت الأبصار وانقبضت القلوب وضاقت الصدور بما رحبت.

تركته لتحضر حقيبة سفرها.. وما إن نزلت حتى وجدته يفتح لها باب المصعد.. يقبلها من جبينها ويستقبل من يديها الحقيبة.. في مشهدٍ معاكسٍ في كل شيء لما حدث يوم التقيا.

ركبا السيارة.. في صمت.. صمت كل شيء من حولهما.. لم تصمت أعينهما ولم يصمت كفاهما اللذان تعانقا.. وكان في صمتهما يدور الحديث الكثير..

ما إن وصلا المطار ووطأت أقدامهما أرضه.. وبعينٍ يترقرق فيها الدمع.. ونصف ابتسامة.. قالت بصوتٍ وكأنه الحزن يتجسد:

«هي دي الدنيا حبيبي».



وقبل أن يودعها.. سألها: بتحبيني يا حنين؟

ارتعشت ملامحها ولمعت في عينيها دمعة ثم سقطت..

نظر في عمق عينيها بحنان.. ومد يده يلمس خديها وأخذ يلملم دمعاتها برفق على أصابعه.

ثم وضع كفه على وجهه ماسحًا بدمعاتها الغاليات.. الحاملات الكثير من الكلمات.

مسح بها على وجنتيه وجبهته وهو يغمض عينيه.

وكأنما يستشعر دفئها وعطرها الممزوجين بدمعاتها.

بدا وكأنه يتوضأ بدموعها الطاهرة البريئة.

فقد كانت هي أيضًا تمسح الحزن عن قلبه.. كما يمسح الموج على جبين الشاطئ.

أخذ رأسها بين كفيه وقبّل جبينها.. ثم أبعدها ناظرًا إليها.

وهي ترى عينيه تدوران في ملامحها خوفًا عليها واشتياقًا لها قبل أن يفارقها.. ترى دمعاته التي تعصى السقوط. احتضنته وهي تربت على كتفيه هامسةً في أذنه:

«حبيبي ما تزعلش.. حتى لو ما جمعناش بيت واحد.. أرض ربنا هي بيتنا وسماها هو سقفنا.. حبنا مالوش حدود ولا سقف ولا جدران تقدر تساعه».

– بس أنا طلبتك من ربنا وعلى يقين هيستجيب.

– خلي بالك على نفسك.



- حنين اللي بتاخد بالها مني.. عشان هي نفسي.

قالت بصوتٍ يخنقه الدمع:

- حاضر يا سي عمر أفندي باشا الكبير.

وغادرته حنين.. غادرته الابتسامة.. غادرته روحه..

وغادرته الحياة.. إلى إشعارٍ آخر حتى تعود إليه.

غادرته وهي تراه ١٪ متفردًا متميزًا عن باقي أفراد جنسه من الذكور.

ويرى أنها اصطحبت معها ٩٩٪ من كيانه بغيابها.

حان الوقت لترتفع عجلات الطائرة من على مدرجات أرض الوطن.. تنظر من نافذة الطائرة مودعةً حبيبها.. الذي لم تعد تراه عيناها ولكن قلبها يراه.

تركته وراءها في مشهدٍ أقرب ما يكون للموت في لحظة خروج الروح من الجسد.



(١٠)

عاد عمر لمنزله.. بقدمين مثقلتين بغيابها.. بعد أن كان له جناحان يطير بهما في حضورها.

وعادت حنين.. بقلبٍ موجوع.. بعد أن كانت تظن نفسها تعافت من أي مرض عندما زارت أحضانه.

فتحت حنين حقيبتها.. لتجد زجاجه عطرٍ.. ليست لها.. فتحتها وإذا بها تحمل رائحته وكأنه معها.. احتضنتها وبكت.. ولكن ما الذي جاء بها هنا في حقيبتها؟

تذكرت أنها روت له أن في يوم لقائهما الأول لم تبدل ملابسها ونامت فيها لأنها كانت تحمل عطره وكأنها ما زالت في أحضانه آمنةً دافئة.

أصبحت هذه عادتها.. فكلما ضاقت بها الحياة وشعرت أنها تحتاجه.. تعطرت بعطره.. وضمت نفسها عليها تجد دفء أحضانه المفتقد..

عادت محادثاتهما كسابق عهدها.. ولكن زاد الاشتياق.. وزادت رغبة عمر في وجودها بحياتها بصفة رسمية.

– حنين.. أنا فاتحت ماما وأحمد أخويا.. في موضوعنا.



– تاني يا عمر.. هو أنا ممكن أسالك سؤال؟

– اتفضلي..

– حتى لو أنت مش عاوز أولاد.. هو مش من حق طنط تشوف وتفرح بأحفادها منك؟!

– هو أنا ممكن أسالك سؤال وتعتبريه أنتِ إجابتي؟ وإيه الحال لو أنا وأنتِ سُلام وزي الفل وربنا ما أرادش يرزقنا أولاد؟ أنا عاوزك أنتِ.. وبس.. ما يهمنيش أي حاجة تانية.

– أنا خايفة.

– من إيه بس؟ خايفة مني؟ اتكلمي.. قولي اللي جواكِ.

– هتتغير يا عمر.. وتبقى زيهم.. ما هما برضه كانوا بيحبوني.. واتغيروا واختاروا يعيشوا حياتهم الطبيعية.

– أولا بس أنت زي الفل يا حنين.. ليه خلتيهم يعيشوكِ في حالة دوامة من الإحساس بالضعف والمرض وإن ناقصك حاجة.. لازم تكمليها؟ صدقيني أنتِ مصدر قوة وإلهام لكل اللي حواليكِ.. يا بنتي أنا شخصيًا بستمد طاقتي وقوتي منك.. ثانيًا أنا مش زي حد ولا أي حد زيي.. كل واحد فينا ربنا خلقه بطباع وشخصيات وظروف مختلفة.. أتغير على مين؟ على أمي وبنتي؟ أكسر قلب مين؟ أختي وأنتيمتي؟ أظلم مين؟ حبيبتي وزوجتي؟ هو ده عمر اللي أنتِ تعرفيه؟ كل واحد فيهم لما اتغير.. اتغير على خطيبته أو حبيبته.. لكن ماحدش شافك ولا عاشك زي ما أنا عايشك وشايفك يا حنين.

– .....



– ساكتة ليه؟ مش مقتنعة؟ ده أنا قلت هعملهالك مفاجأة وأروح أتقدم لعمك أطلب إيدك.. ولما تنزلي إن شاء الله.. ناخد الخطوة الرسمية اللي تحبيها.

– إوعى تعمل كده.

– تاني يا حنين؟! عمومًا براحتك.. بس أنا في رقبتك ليوم الدين.. مش هتجوز غيرك.. انسي.

– خلاص يا عمر.. أوعدك هفكر..

– بجد؟! الله يرضى عنك ويفرح قلبك.. اجبري بخاطري بقى.. ده أنا حتى يتيم وأبويا ميت.

ضحكت ثم قالت: ربنا يرحمهم جميعًا يا رب.. بس عارف لو عمو عايش كنت متأكدة إني هاحبه ويحبني.

– إحم إحم.. اقفلي يا حنين.. هتخليني أغير من أبويا الله يرحمه.

– هههههههه.

– اضحكي اضحكي.. هههههه.. سلام.

وكما عودتنا الحياة أنها لا تصفو دومًا.. في الأثناء التي أشارت لها صديقتها ليندا بوجود علاج جديد يمكن أن يحسن من كفاءة عضلة القلب الضعيفة.

وبدأت حنين بعرض نفسها على أطباء جدد لتباشر معهم هذا العلاج.. لتفاجئ عمر بتعافيها.. وأنها أصبحت لا تخاف أن تظلمه بالزواج منها.. وبالرغم من قسوة العلاج إلا أنها كانت تتحمله بفرح لأجله.. ولأجل إسعاده.



ابتعد عمر بعد أن عرف حنين عن مجموعة من الأصدقاء والصديقات بشكل كبير.. حتى إنه لم يعد يحادث الكثير منهم.. كان طريقه مظلمًا بهم.. وأضاءته هي.. واختارها واختار طريقها ولم يعد يريد أن يحيد عنه.

أثار هذا الابتعاد فضولهن.. وبفضول الإناث غير المحمود.. استطاعوا التعرف على من هي الحبيبة الجديدة التي تربعت على عرش قلبه وطردتهن جميعًا خارجه.

وبعد أن دُبرت بعض مؤامرات الشر في الخفاء.. بدأت تصل إلى حنين رسائل غريبة.. تحتوي على محادثات بين عمر وبعض الفتيات.

صدمة وغصة في قلبها.. هل تختبئ وتبتعد عنه في صمت.. أم تقول.. وبالتأكيد سيبرئ نفسه.. وفي كلتا الحالتين ستبتعد عنه.. فقررت أن تبتعد في صمتٍ كي لا تحرجه أو تريه أنه مثله مثل غيره ممن سبقوه.

أحس بتغيرها وابتعادها.. وبدأ يلوم عليها جفائها وطريقتها الرسمية معه.

– حنين أنا ما بقتش مستحمل الطريقة اللي أنتِ بتعامليني بيها دي.

صادفت هذه المصادمة يوم جلسة علاجها التي كانت عائدةً منها لا تقوى على حمل جسدها.. وثارت حنين.

– أنت مش مطالب إنك تستحمل يا عمر.. ما تستحملش.. أنا بس اللي استحمل.. أنا اللي أعرف إنك عايش حياتك وبتمثل عليَّ دور الحبيب الشريف.

– إيه كلام اللي أنتِ بتقوليه ده؟

– هبعتلك حاجات تقراها يا عمر ولما تشوفهم هتعرف أنا بقول إيه وبعمل كده ليه.. بس بعدها من فضلك ما تتصلش بيَّ أو تحاول تكلمني تاني.



أغلقت الخط وأرسلت له صور المحادثات التي وصلتها من عدة أرقامٍ مجهولة.

لم تصدق عينه ما ترى.. أخذ يتصل بها المرة تلو المرة.. ورسائل يترجاها فيها أن تجيبه.. ولكن دون استجابة.

عاد للمنزل منهكًا من كثرة التفكير والعجز عن الوصول إليها.. ترك الماء ينساب على رأسه علّه يطفئ نار التفكير المشتعلة فيها.

إلى متى سيظل ماضيه يطارده كشبح يريد أن يختطف منه أطهر ما عرف من إناث وأعمق وأصدق ما أحس من حب؟

ألقى بجسده الخائر القوى على سريره.

محدقًا إلى سقف غرفته.. وأخذت أجفانه تثقُل ويرحل حيث هي.

وجدها تجلس إلى طرف سريرها مخبئةً وجهها البريء بين كفيها.. وها هي دمعاتها الغاليات تقطر من بين أصابعها.

اعتصر قلبه الألم.. حبيبتي أنا من يفعل بك هذا؟

جثا على ركبتيه أمامها.. جلس إلى قدميها واضعًا كفه على ركبتيها.

وبصوتٍ ملؤه الحزن قال: حبيبتي أرجوكِ.

أتوسل إليكِ.. سامحيني.. لست أنا الآن من كنت عليه قبلك.

لست أنا الآن سوى أنت ببراءتك وطهرك.. على يديكِ ولدتُ من جديد.. أمام عينيكي أعلنت الاستسلام عن عصياني وكل ذنوبي.. بين يديكِ وضعت قلبي لتخرجي منه كل ما كنت ظننته يومًا حبًا.. ليصبح الحب لك وحدك.. ولتصبحين مليكة على عرش قلبي دون منافس.



ماذا أفعل لأثبت لك أن من أمامك الآن جبل كبرياء وبدفء حبك قد ذاب.

في هذه الأثناء كانت تحاول أن تظل مبتسمةً مطمئنةً أصدقاءها الذين رافقوها أثناء جلسات العلاج.

استبدَّ بها التعب فنامت وهي على سريرها الأبيض.. وجدته قادمًا لها.. حاولت أن تبتسم له كي لا يرى ضعفها.. ولكنه لاحظ أناملها الرقيقة وهي تشد على غطائها لتخفي عنه ألمها.

طلبت منه أن يرحل.. أرادت أن تتحرر من دمعاتٍ يخنقن مُقلتيها.

أدار ظهره لها.. ظنت أنه رحل.. لتجده يعود إليها مسرعًا ليحتضنها.. وتكتوي أصابعه بحرارة دموعها التي تحررت من عينيها على خديها مُعلنةً أن قد أصبحنا وحدنا فأعلني ضعفك في أحضان نفسك.

نظر لها وهو يمسك بوجهها بين كفيه مقبلًا جبهتها وفي عينيه ما يشبه دمعاتها وقال: أنا هو أنتِ.

فابكِ أمامي ولا تخجلي..

استيقظت على هاتفٍ يخبرها بخبرٍ مفرح.. حفل توقيع كبير لمجموعتها القصصيه.. نظرًا لأنها حظيت بأفضل نسبة مبيعات على مستوى مبيعات دار النشر.

استجمعت قواها.. واستعدت للسفر إلى مصر مجددًا لمدة يومٍ واحد.. لحضور حفل التوقيع ثم العودة إلى أمريكا مجددًا.



استعدت قاعة احتفالات فخمة كبيرة لاستقبالها واستقبال معجبيها.. كانت الأضواء تتلألأ.. وكل شيء مرتب ومبهج.. الكل في انتظارها.. الأعين والأضواء والكاميرات مسلطةً عليها.

وها هي الأميرة تصل.. لتخطو خطواتها بثقة لتعتلي منصةً تلقي كلمةً لجمهورها.. لتعود وتجلس لتوقع لهم نسخهم.

ما إن انتهت الكلمة.. ومع اخر صوتٍ للأصوات المتعالية.. من التصفيق والصافرات.

أطفئت أضواء القاعة كلها فجأة.. وجاء صوت (رامي جمال – اوعديني) من كل جنبات القاعة.

وتظهر بقعة ضوء.. يقف في وسطها «عمر» في كامل أناقته.. متقدمًا نحوها بخطوات وابتسامةٍ ساحرة.

وما إن وصل لها حتى نزل على ركبته أمامها مقدمًا لها خاتم الزواج.. صمت صوت الأغنية.. وأعطاه أحدهم الميكرفون.. ليقول بصوته الذي اشتاقته كثيرًا:

«تتجوزيني يا ملكة».

تعالت الصيحات والصافرات والأيدي المصفقة.

أعادها مرةً أخرى «تتجوزيني؟»

هزت رأسها بالإيجاب.. ودمعاتها تتساقط.. ألبسها خاتمها.. ووقف ليمسح دمعاتها الغاليات ويقبل جبهتها ويحتضنها.. وسط أوراق ملونة لامعة وعدسات كاميرات وأضواء وأعين تشهد بتتويج ملكٍ لملكته في قصة حب أسطورية.



سمعت همسًا في أذنها اليمنى.. «ماما».

بل الهمس من ناحية أذنها اليسرى.. «ماما».

فتحت عينيها لترى.. توأمهما (وسام وحنين) يوقظانها.

و يمسكان بكفيها ليخرجاها من الغرفة.. حيث «عمر» يقف في انتظارها بهدية عيد زواجهما الثاني.

غمز لهما بعينه ليركضا ويختفيا.. ركضت لتحتضنه كطفلة واحتضنها حاملًا لها بين ذراعيه فهي ستظل مهما مر الزمان عليهما طفلته الأولى.

أسند جبهته لجبهتها وقال: بحبك يا حنين.

وهمست: بحبك يا عمر.

وصدح صوت (محمد حماقي – آدي اللي في بالي).

.. البداية..


ساحر الكتب


تمت



لن ينساها

لم يستطع "يوسف" نسيانها رغم مرور الزمن..
فقد كانت "حنين" أنثى استثنائية.. أبت أن تغادر
ذاكرة قلبه أو أن يعتلي عرش حبه سواها..
واختفت.
ولكن "....".. هو من سيحاول أن يخترق الأسوار
المنيعة التي أحاطت بها قلاع قلبها ليعتلي
عرشه كملك للحب فيه.. فهل تُراه ينجح؟!

غلاف: Cover by ahz_art

E-mail: publish@tashkeel-publishing.com
Tashkeeel 201006250473
www.tashkeel-publishing.com

